

ملف المستقبل
سري جداً!!

112

بصمة الموت

نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدُّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - خيانة ..

خيم هدوء شديد كالمعتاد ، على مبنى الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، فى تلك الساعة المبكرة ، من أحد أيام الشتاء قارصة البرودة ، فى القرن الحادى والعشرين ، وراح الدكتور (ناظم) ، الرئيس الأعلى لإدارة الأبحاث ، يراجع بعض التقارير الحديثة فى اهتمام بالغ ، على شاشة الكمبيوتر ، ويتابع بعض النتائج ، التى انتهت إليها الأبحاث غير التقليدية ، وبخاصة نتائج الفحوص النهائية ، التى أجريت لـ (نور) و (أكرم) ، بعد عودتهما من ذلك العالم الغريب المخيف ، الذى ألقتهما فيه فجوة سوداء رهيبة(*) ..

وبكل اهتمام ، راح يراجع على الشاشة التقرير الذى قدَّمه (نور) ، بعد عودتهما إلى الأرض ، والذى يتضمَّن تفاصيل الصراع على كوكب الطغاة ، والأحلام التى ظهر عبرها (محمود) ، الذى تصوَّر الجميع أنه

(*) راجع قصة (كوكب الطغاة) .. المغامرة رقم (١١١) .

لقى مصرعه فى نهر الزمن(*) وظهور (س ـ ١٨) ، واختفاءه مرة أخرى فى ذلك العالم العجيب ..

تفاصيل انبهر بها الدكتور (ناظم) ، واستغرق فيها بكيانه كله ، وبخاصة ذلك الجزء الخاص بـ (محمود) ، والعالم الذى يعيش فيه ، ما بين المادة والطاقة ..

وفى أعماقه ، ألقى الدكتور (ناظم) على نفسه سؤالا ..

ترى هل يمكن استعادة (محمود) يومًا ؟!

أمن الممكن انتزاعه من عالم المادة ، وإعادته إلى عالم الواقع ، مثلما حدث مع (س ـ ١٨) على كوكب الطغاة ؟!

ولماذا نجح هذا فى ذلك الكوكب بالذات ؟!

أو فى ذلك العالم ، لو توخينا الدقة ؟!

تقرير (نور) يشير إلى أن ذلك العالم يختلف كثيرًا عن عالمنا ، فى سماته الفيزيقية ، وبالذات فى فضائه الثائر والإيقاع الزمنى على سطحه ..

وربما كان هذا العامل ، الذى ساعد على انتقال (س ـ ١٨) إليه ولكن ماذا عن (محمود) ؟!

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

أمن الممكن أن يحتمل جسده المادى عملية الانتقال هذه ، دون أن ينهار ، أو تتفكك جزئياته ، وتفقد تماسكها ؟!

لم يكن باستطاعته ، كعالم متخصص ، أن يجيب السؤال ، دون إجراء سلسلة من الأبحاث والدراسات ، و ...

قاطع أفكاره واعترضها بغتة ذلك الأزيز المتصل ، لجهاز الاتصال الداخلى والمرئى ، فالتفت إليه بحركة حادة مستنكرة ، وكأنه يعترض على انتزاعه من تأملاته على هذه النحو ، ثم لم يلبث أن تنهد ، وضغط زر الجهاز ، مغمغمًا :

ـ لماذا كل هذا السخط يا رجل ؟! إنها طبيعة عملك ومسئولياتك .

تألقت شاشة الجهاز الصغيرة ، قبل أن تظهر فوقها صورة الدكتور (هاشم صدقى) ، رئيس قسم الأبحاث الفيروسية فى الإدارة ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ صباح الخير يا دكتور (ناظم) .. أرجو ألا أكون قد أزعجتك باتصالى المبكر هذا .

لثوان ، تطلع الدكتور (ناظم) إلى الشاشة فى صمت ، دون أن يجيب ..

شىء ما فى الدكتور (هاشم) ولهجته لم يرق له ..

ربما كانت تلك اللَّمحة الساخرة فى عينيه ، أو الثقة الزائدة فى صوته ، والتى لم يعتد أحد سماعها من قبل .

شىء ما ، جعل الدكتور (ناظم) يصمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ لا يوجد أى إزعاج يا دكتور (هاشم) .. أهلاً باتصالك وبك فى أى وقت .

حتى تلك الكلمات ، وجد نفسه ينطقها بشىء من الحذر ، لم يكن له عندئذ ما يبرِّره من الأسباب المنطقية ، باستثناء ضوء أحمر ، ينبعث من مكان ما فى عقله الباطن ..

وبلهجة عجيبة ، أطلَّت منها نبرة ساخرة ، قال الدكتور (هاشم) :

ـ قل لى يا دكتور (ناظم) : هل تعتقد أن الوقت يناسب مناقشة مكافأتى السنوية ؟!

ردَّد الدكتور (ناظم) فى دهشة :

ـ مكافأتك السنوية ؟!

أجابه الدكتور (هاشم) بنفس اللهجة العجيبة ، وإن تزايدت فيها نبرة السخرية :

ـ نعم يا دكتور (ناظم) .. المكافأة السنوية ، التى أتقاضاها من الإدارة ، نظير العمل فيها طوال العام .. هل تدرك ما أتحدَّث عنه ؟! إننى أتحدَّث فى أجر سنوى يبلغ نصف مليون جنيه مصرى .

اعتدل الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ أضف إليه المسكن الذى تقيم فيه وسيارتك الخاصة ، فكلاهما جزء من أجرك ، ما دمت قد حصلت عليهما مقابله .

تحوَّلت تلك النبرة الساخرة إلى ابتسامة كبيرة ، على شفتى الدكتور (هاشم) ، وهو يقول :

ـ رباه !.. هل المفترض أن ينتفض جسدى من فرط الانفعال ، أم أن أفقد الوعى تأثُّرًا ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى صورة الدكتور (هاشم) على الشاشة بنظرة دهشة ، مستنكرًا تلك اللهجة الساخرة المستفزة ، التى يتحدَّث بها ، فى حين تابع هذا الأخير ، والسخرية فى كلماته تتزايد وتتزايد :

ـ هل تعلم الأجر السنوى للاعب كرة محترف يا رجل ؟! أو لممثِّل سينمائى من الدرجة الثانية ؟! إنه يتجاوز العشرة ملايين جنيه .. ألا يبدو لك أجرنا تافهًا مقارنا بأجريهما ؟!

صمت الدكتور (ناظم) لحظة أخرى ، وأنبأه عقله أن الأمر ليس بسيطًا كما قد يبدو ، فاعتدل فى مجلسه ، وهو يجيب :

- هذا يحدث فى كل دول العالم للأسف ، ولكن ربما اقترحنا هنا زيادة أجوركم السنوية ، و ...

قاطعته ضحكة ساخرة مفاجئة ، انطلقت بغتة من حنجرة الدكتور (هاشم) ، وجلجلت فى الحجرة ، على الرغم من أنها تأتى عبر جهاز الاتصال الداخلى ، فتراجع الدكتور (ناظم) بحركة حادة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى الشاشة بمزيج من الدهشة والاستنكار ، والدكتور (هاشم) يقول فى لهجة تجمع ما بين الغضب ، والسخرية ، والتوتر ، والسخط :

- زيادة أجورنا السنوية ؟! يا له من اقتراح مضحك ! وكم تتوقّع زيادتها أيها الرئيس .. خمسين فى المائة ؟! مائة فى المائة ؟!

سأله الدكتور (ناظم) فى حدة :

- ماذا دهاك اليوم يا دكتور (هاشم) ؟! أأنت مخمور أم ماذا ؟!

أجابه (هاشم) فى غضب صارم :

- الخمور للمعتوهين والحمقى فقط يا دكتور (ناظم) ، وكلانا يعلم هذا جيدًا .. أنا كرجل عاقل ذكى ، لا أتناول رشفة واحدة منها قط ، وينبغى أن تدرك أننى أتحدّث إليك الآن بكامل يقظتى ، وكل قواى العقلية ، وأننى أطالب بزيادة فعلية وملموسة فى أجرى السنوى .. زيادة تتناسب مع عقليتى المتطوّرة ، وأهمية العمل الذى أقوم به .

كان الدكتور (ناظم) يشعر بالغضب ، من هذا الأسلوب السخيف ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، سأله فى محاولة لتهدئة الأمور :

- حسن .. كم تطلب يا دكتور (هاشم) ؟!

تألّقت عينا الدكتور (هاشم) على نحو عجيب ، ومال برأسه إلى الأمام ، حتى أن صورته بدت منبعجة على نحو مضحك ، على شاشة جهاز الاتصال الداخلى(*) ، وهو يجيب فى صوت صارم حازم متلهّف :

(*) عند الاقتراب من عدسة منفرجة الزاوية ، كتلك الموجودة فى أجهزة الهاتف المرئية ، يؤدى تشتت الضوء إلى انبعاجات مضحكة فى الوجوه والأجسام .

- ألف ضعف .

ارتفع حاجبا الدكتور (ناظم) ، حتى كادا يصعدان إلى قمة رأسه ، وهو يكرر :

- ألف ضعف ؟!

أجابه الدكتور (هاشم) ، وخشونة عجيبة تتسلل إلى صوته ، مع تألق زائد مخيف فى عينيه :

- بالضبط يا دكتور (ناظم) .. إنك لم تخطئ السمع .. ألف ضعف للأجر الذى أتقاضاه الآن .. نصف مليار دولار سنويًا ، ومدى الحياة ..

صاح الدكتور (ناظم) :

- لابد أنك قد جن ....

قاطعه الدكتور (هاشم) فى وحشية مباغتة :

- إياك أن تنطقها ، وأنصحك بالتفكير فى الأمر جيدًا ، قبل الرفض أو القبول ، فهذا العرض محدود بجواب ، فإذا ما رفضتم مرة ، سيسقط عرضى ، وسأضاعفه بصورة تلقائية كعرض جديد .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وكاد يقسم أن الرجل الذى يطلّ عليه ، على شاشة جهاز الاتصال الداخلى ، مجنون تمامًا ، وأنه قد فقد عقله وإدراكه ، وصار أشبه بالمعتوهين الخطرين ..

ولكنه لم ينبس ببنت شفة ..

إنذار الحذر فى أعماقه جعله يلوذ بالصمت ، وهو يتطلّع إلى الشاشة ، فى حين تراجع الدكتور (هاشم) فى هدوء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يقول بلهجته المستفزة :

- وبالمناسبة أيضًا ، مدة هذا العرض أربع وعشرون ساعة فحسب ، فإما أن تقبلوه ، ويتم تحويل المبلغ إلى حساب فى (سويسرا) ، سأرسل رقمه إليك بوساطة الفاكس ، أو ...

وانطلقت من حلقه ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يتابع :

- أو لن يكفى عمركم كله للتعبير عن الندم .

ومال مرة ثانية نحو الشاشة ، مضيفًا :

- هذا لو تبقى لكم ما يكفى من العمر .

نطقها وانفجر ضاحكًا على نحو عجيب ، قبل أن ينهى الاتصال ، وتنطفئ شاشة الجهاز ..

ولثانية أو ثانيتين ، ظلّ الدكتور (ناظم) يحدّق فى شاشة الجهاز ، قبل أن يتحرّك بغتة بحركة حادة ، ويضغط زر جهاز آخر ، هاتفًا :

ـ من الدكتور (ناظم) إلى رئيس فريق الأمن الداخلى .. ألق القبض فورًا على الدكتور (هاشم صدقى) ، رئيس قسم أبحاث الفيروسات ، ولا تسمح له بمغادرة المبنى قط ، مهمًا كانت الـ ....

قاطعه رئيس الأمن فى دهشة :

ـ الدكتور (هاشم) ؟! ولكنه لم يأت اليوم إلى العمل يا دكتور (ناظم) .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) ، وهو يهتف :

ـ لم يأت اليوم ؟! مستحيل يا رجل ! لقد كنت أتحدث إليه منذ أقل من دقيقة واحدة ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهذا يعنى أنه داخل المبنى حتمًا .

قال رئيس الأمن بدهشة أكثر :

ـ لا يمكن يا دكتور (ناظم) .. أنا واثق مما أقول ، ولكننى سأتحرّى الأمر على أية حال .

هبّ الدكتور (ناظم) من خلف مكتبه ، هاتفًا :

ـ أسرع با لله عليك يا رجل .. أسرع .. سألتقى بك فى مكتبه .

قالها ، وانطلق يعدو خارج مكتبه ، عبر ممرات المركز ، فى طريقه إلى حجرة مكتب الدكتور (هاشم) ،

فى قسم البحوث الفيروسية ، وعقله يكاد يرتجف مما يدور فى أعماقه من أفكار مخيفة ..

ترى ما مبعث الثقة المفرطة ، فى حديث الدكتور (هاشم) وصوته ؟!

لماذا يبدو واثقًا من أنهم سيستجيبون حتمًا لمطالبه ؟!

ولماذا اتخذت هذه المطالب هيئة التهديد ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

اشتعل رأسه بفكرة مخيفة ، وهو يمضى عبر قسم البحوث الفيروسية ، وتعلق بصره برجال الأمن الداخلى ، وهم يقتحمون حجرة الدكتور (هاشم) ، أمام دهشة وذعر العاملين بالقسم ، واعترضه أحدهم ، هاتفًا :

ـ ماذا يحدث يا دكتور (ناظم) ؟! ما الذى يفعله طاقم الأمن ، فى حجرة الدكتور (هاشم) ؟!

دفعه الدكتور (ناظم) فى شىء من الغلظة ، ليواصل عدوه ، هاتفًا :

ـ يلقون القبض عليه .

اتسعت عينا الرجل فى دهشة بالغة ، وهو يردّد :

ـ يلقون القبض على من ؟!

فى نفس اللحظة التى انتهى فيها من عبارته ، كان الدكتور (ناظم) يندفع إلى حجرة مكتب الدكتور (هاشم) ، ورئيس فريق الأمن يستقبله ، قائلاً :

ـ إنه ليس هنا .

حدّق الدكتور (ناظم) فى جهاز الاتصال الداخلى ، الموضوع على مكتب الدكتور (هاشم) ، والمتصل بوساطه أسلاك رفيعة ، بهاتف الفيديو ، ورئيس طاقم الأمن يكمل فى حنق :

ـ من الواضح أنه أعدّ الأمر كله منذ البارحة ، فأوصل هاتف الفيديو بجهاز الاتصال الداخلى ، بحيث يمكنه الاتصال بمكتبه من الخارج ، وتشغيل جهاز الاتصال الداخلى ثم نقل صورته من شاشة هاتف الفيديو إلى جهاز الاتصال الداخلى ، فنتصوّر أنه يتحدّث من داخل المبنى . .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يحدّق فى تلك الوصلات التى خدعته ، ثم قال لرئيس الأمن فى حزم :

ـ اتصل بشركة الهاتف فورًا ، وراجع تقرير الكمبيوتر .. أريد معرفة رقم هاتف الفيديو ، الذى تحدّث منه ، وعنوانه فورًا .

أشار رئيس الأمن إلى أحد رجاله لتنفيذ الأمر ، وهو يومئ بسبّابته إلى قارورة صغيرة إلى جوار هاتف الفيديو ، بداخلها قطرة واحدة من سائل يميل إلى الزرقة ، وهو يقول :

ـ يبدو أنه ترك هذا خلفه .

تطلّع الدكتور (ناظم) إلى القارورة فى قلق ، وهو يسأل :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

مدّ رئيس طاقم الأمن سبّابته وإبهامه نحو القارورة الصغيرة ، وهو يقول :

ـ أعتقد أنها مجرّد ..

صاح به الدكتور (ناظم) فى ذعر :

ـ لا .. لا تلمسها .

انطلقت صيحته بعد فوات الأوان ، وبعد أن التقط رئيس الأمن القارورة بالفعل ، بسبّابته وإبهامه ، فأفلتها الرجل بحركة حادة ، جعلتها تسقط من يده ، وتهوى نحو الأرض ، فصرخ الدكتور (ناظم) فى ارتياع :

ـ لا !!!! .

وقفز بنفسه ، فى محاولة لالتقاط القارورة ، ولكنها ارتطمت بالأرض ، وتحطمت ، وقفزت منها تلك القطرة المائلة للزرقة ، وارتطمت بيد رئيس طاقم الأمن ، وتناثرت منها قطيرات صغيرة على وجوه ثلاثة من رجال الأمن المحيطين به ..

وامتقع وجه الدكتور (ناظم) ..

امتقع فى شدة ، حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ، وهو ينهض متمتمًا :

- يا إلهى !.. يا إلهى !..

مسح رئيس الأمن القطرة عن يده ، وهو يقول :

- معذرة يا دكتور (ناظم) .. لم أقصد أن ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى توتر شديد :

- لا بأس يا رجل .. لا بأس .. إياك أن تتحرك .. إياك أن يتحرك أحدكم ، أو يلمس شيئًا من أثاث الحجرة أو محتوياتها ، حتى تصل فرقة التطهير والحجر الصحى .

شحبت وجوه رجال الأمن ، وقال رئيسهم فى ذعر :

- التطهير والحجر الصحى ؟! ماذا هناك بالضبط يا دكتور (ناظم) ؟! ماذا أصابنا ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- لست أدرى يا رجل .. لست أدرى .. ربما لم يحدث شىء .. وربما حدث الكثير .. لابد أن نأخذ بكل أساليب الحيطة والحذر .. إنكم داخل قسم بحوث الفيروسات ، وكل شىء ممكن حدوثه هنا ، خاصة وأننا نجهل طبيعة محتويات القارورة .

قالها ، وهو يتراجع بحذر ، حتى صار خارج الحجرة ، وصاح بالعاملين بالقسم فى صرامة :

- ابدءوا إجراءات الحجر الصحى والتطهير على الفور .

انطلقت إشارة التحذير فى القسم ، وراح الجميع يعدون نحو مراكزهم ، طبقًا لخطة طوارئ محكمة ، تم تدريبهم عليها من قبل ، وسرعان ما برز رجال التطهير ، فى ثياب شبيهة بأزياء الفضاء ، وانطلق زملاؤهم يمدون نفقًا صناعيًا معقمًا من البلاستيك ، من باب حجرة مكتب الدكتور (هاشم) ، وحتى قسم الحجر الصحى المعزول ، فى حين اندفع الدكتور (ناظم) عبر ممرات القسم إلى حجرة المتابعة ، وسأل المسئول عنها فى توتر :

- هل توصلت إلى المكان ، الذى تحدث منه الدكتور (هاشم) ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

- من منزله يا سيدى .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) فى شدة ، وهو يقول :

- من منزله ؟! يا للصفاقة !

ثم التقط سماعة الهاتف ، وضغط أزرارها بسرعة ، قبل أن يقول :

- هنا الدكتور (ناظم) .. أمر مباشر إلى شرطة الإدارة .. مطلوب إلقاء القبض على الدكتور (هاشم صدقى) فى منزله .. وفورًا .

لم يكد ينهى المحادثة ، حتى وجد أمامه أحد رجال الحجر الصحى شاحب الوجه ، يقول فى توتر بالغ :

- سيدى .. هؤلاء الرجال ، الذين تم نقلهم إلى الحجر الصحى منذ دقائق .. إنهم .. إنهم .. يا إلهى .. يا إلهى !.. لن يمكنك أن تتصور هذا .

شحب وجه الدكتور (ناظم) بدوره ، وهو يقول :

- رباه ! ليس بهذه السرعة .

وانطلق يعدو إلى قسم الحجر الصحى ، وارتدى الزى الواقى ، وهو يسأل الرجل فى عصبية :

- هل فقدوا وعيهم أم أصابتهم التهابات جلدية ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى هلع واضح :

- لا هذا ولا ذاك يا سيدى .. إن أكبادهم تتضخم على نحو عجيب ، ومن الواضح أن هذا يسبب لهم آلامًا رهيبة ، لايمكنهم احتمالها .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) فى ارتياع ، وهو يقول :

يا إلهى !.. يا إلهى !

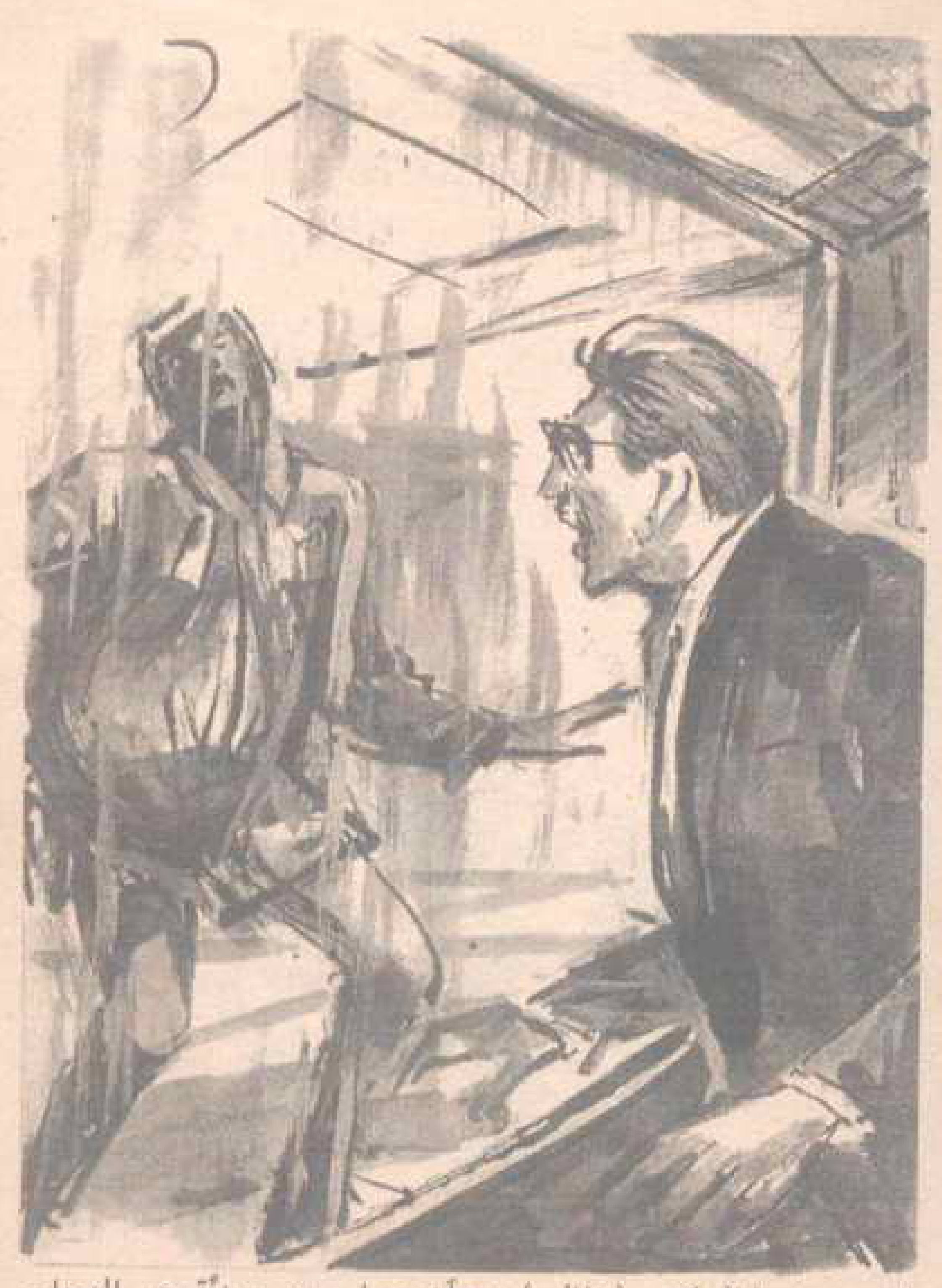
نطقها ، وهو يعدو نحو حجرة الحجر الصحى ، وقبل أن يبلغها ، تناهت إلى مسامعه صرخات هائلة رهيبة ، ورأى الأطباء يعدون فى كل مكان ، فى توتر بلا حدود ، فهتف بأحدهم :

- ماذا يحدث ؟!

لوّح الرجل بذراعه كلها ، صائحًا فى اضطراب شديد :

- الأكباد .. إنها تنفجر .. اثنان لقيا مصرعهما حتى الآن .. كل مسكنات الألم لدينا لا تأتى مع هؤلاء المساكين بأى تأثير .. إنه أمر رهيب .. رهيب .

اتسعت عينا الدكتور (ناظم) عن آخرهما ، وهو



اتسعت عينا الدكتور (ناظم) عن آخرهما ، وهو يحدِّق عبر الزجاج العازل السميك فى رئيس طاقم الأمن ، داخل حجرة العزل ..

يحدِّق عبر الزجاج العازل السميك فى رئيس طاقم الأمن ، داخل حجرة العزل ، وقد انتفخ الجانب الأيمن من بطنه على نحو مخيف ، والرجل يصرخ ويتلوَّى ، على نحو يوحى بأنه يعانى آلامًا بلا حدود ، وبطنه تواصل الانتفاخ أكثر ، وأكثر ، ولم تكد عيناه تقعان على الدكتور (نظمى) ، حتى مدّ يده إليه ، وهو يصرخ باسمه ، وكأنه يناشده أن ينقذه ، من هذا العذاب الرهيب ، فدمعت عينا الدكتور (ناظم) ، وعضّ شفتيه فى قهر ، وهو يقول :

- ليتنى أستطيع .. صدقنى يا رجل .. ليتنى أستطيع .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى اتسعت عينا الرجل المسكين فى ألم ورعب ، وانطلقت من حلقه صرخة هائلة ، ثم انتفضت بطنه المنتفخة فى عنف ، فجحظت عيناه ، وتدفَّقت الدماء من حلقه فى غزارة ، وكأنه يفقد كل قطرة دم فى كيانه كله ..

وأغلق الدكتور (ناظم) عينيه فى شدة ، أمام المشهد البشع ، وهو يردِّد فى مرارة وألم :

- لماذا يا دكتور (هاشم) ؟ لماذا ؟!

الآن فقط أدرك ، لماذا كان الدكتور (هاشم) يتقدّم بمطالبه بمنتهى الثقة والصفاقة ..

والآن فقط أدرك أنه أمام خطر ، يهدّد العالم كله ..

خطر من نوع جديد ..

ورهيب ..

رهيب إلى أقصى حد .

★ ★ ★



٢ - كل الخطر ..

« عندما أفرقع سبّابتى وإبهامى ، استيقظى يا (سلوى) .. »

نطق (رمزى) العبارة ، قبل أن يحوّل كلماته إلى فعل ، ولم تكد فرقعة سبّابته وإبهامه تبلغ أذنى (سلوى) ، حتى فتحت عينيها فى بطء ، وأدارتهما فى وجوه الجميع ، الذين يتطلعون إليها مباشرة ، قبل أن تسأل فى لهفة :

ـ هل حدث الاتصال ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا فى أسف ، وغمغمت (نشوى) فى مرارة :

ـ كلاّ .

ترقرقت عينا (سلوى) بالدموع ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لماذا ؟! ماذا أصاب (محمود) ؟! لماذا لم يعد باستطاعتنا إتمام الاتصال به ، كما فعلنا من قبل ؟! لماذا ؟!

سبقتها (مشيرة) إلى سكب دموعها ، مغمغمة :

- لقد فقدناه يا (سلوى) .. ففقدناه للمرة الثانية .

تنهد (نور) فى أسى ، وتبادل نظرة صامتة مع (أكرم) ، الذى قال فى مرارة :

- لقد ضحى بحياته من أجلنا مرتين .. كان بإمكانه العودة إلى العالم المادى ، عندما كنا على كوكب الطغاة ، ولكنه ضحى بنفسه ، وأرسل (س - ١٨) بدلاً منه ، ليعاوننا على النجاة ..

غمغم (نور) فى تأثر :

- نعم .. وفى هذه المرة أنقذ كوكب الأرض كله .

هتفت (سلوى) :

- ولهذا لا يمكننا التخلى عنه الآن .. ليس بعد كل ما فعله من أجلنا .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ومن تخلى عنه ؟! هو الذى ذهب لسبب ما .. منذ عودتنا إلى الأرض لم أحلم به مرة واحدة .. لم يتم الاتصال بينى وبينه فى عالم الأحلام قط .

قالت (نشوى) بسرعة :

- أنا حلمت به مرة .

استدارت كل العيون إليها فى لهفة ، فاستدركت فى أسى :

- ولكنه كان حلمًا عاديًا ، وليس اتصالاً فائقًا .

هتفت (مشيرة) فى مرارة :

- كم أتمنى لو أعلم أين ذهب ، وما الذى أصابه .. إننى مستعدة للتضحية بحياتى ، فى سبيل عودته إلينا .

مط (أكرم) شفتيه ، وقال فى صرامة :

- لا يروق لى أن تعلن زوجتى استعدادها للموت فى سبيل رجل آخر .

هتفت غاضبة :

- إنه (محمود) .

أجابها فى صرامة :

- إنه رجل آخر فحسب .

احتقن وجهها فى شدة ، وهى تقول غاضبة :

- رد فعل طبيعى من همجى مثلك .

قال فى غضب مماثل :

- عجبًا !.. مازلت أذكر أنك وقعت يومًا فى حب هذا الهمجى .

صاحت فى حدة :

- لا ريب فى أننى كنت حمقاء .

هم (أكرم) بالصياح فى وجهها بدوره ، لولا أن هتف (رمزى) :

- مهلاً .. لا داعى لهذا الشجار .. لا تفرغوا توتر أعصابكم فى صراع شخصى مفتعل .. إننا هنا من أجل (محمود) .

هتفت (مشيرة) محنقة :

- وشجارنا هذا من أجله .

أجابها (نور) فى صرامة :

- ولكنه لن يفيده بمقدار ذرة واحدة .

انعقد حاجباها ، ومطّت شفتيها ، وأشاحت بوجهها فى حنق ، وهى تغمغم :

- ما كان ينبغى أن آتى .. كان لدى تسجيل هام ، و ...

قاطعها (أكرم) فى سخرية عصبية :

- لم يفت وقت اللحاق به بعد .

هبّت من مقعدها فى حدة ، هاتفة فى سخط :

- ربما كنت على حق .

صاح بها (نور) فى غضب :

- اجلسى يا (مشيرة) .. كف عن هذا العناد الصبيانى يا (أكرم) .. لقد اجتمعنا هنا لمناقشة موقف (محمود) ، والبحث عن وسيلة لإعادته إلى عالمنا ، وليس لندخل فى صراع تافه سخيف ، لا يليق بناضجين مثلكما .

ران على المكان صمت تام بعد حديثه ، وتبادل (أكرم) و (مشيرة) نظرة صامتة ، تفيض بالحرج والأسف ، قبل أن يتنحنح (أكرم) ، قائلاً :

- هل تعتقد حقًا أنه توجد وسيلة لاستعادته ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- ليس طبقًا للعلوم التقليدية يا صديقى ، ولكننا لن نستسلم .. سنبذل قصارى جهدنا ، وسنعمل ليل نهار ، حتى نفهم كيف استطاع (س - ١٨) النفاذ إلى العالم المادى ، فربما قادنا هذا إلى كيفية استعادة (محمود) .

ثم أدار عينيه فى وجوههم ، مستطردًا :

- إننا لن نتخلى عنه قط يا رفاق .

أجابته (سلوى) فى حماس :

- بالتأكيد .

واندفعت (مشيرة) تسأل :

- ولكن ماذا لو ...

قبل أن تتم عبارتها ، تألّقت ساعة يد (نور) على نحو ملحوظ ، فبترت عبارتها بغتة ، وهى تحدّق فيها ، فى حين هتفت (سلوى) :

- ساعتك يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يندفع نحو الباب ، قائلاً :

- إنه استدعاء عاجل .. معذرة يا رفاق .. يبدو أننى مضطر للانصراف .

تحرَّك (أكرم) بحركة غريزية للحاق به ، ثم توقَّف بغتة ، ولوَّح بيده ، هاتفًا فى حنق :

- اللعنة !

راقبت (سلوى) زوجها ، وهو يثب داخل سيارته ، وينطلق بها مبتعدًا كالصاروخ ، فى حين سألت (نشوى) (أكرم) فى دهشة :

- ما الذى أغضبك إلى هذا الحد ؟!

انعقد حاجباه ، ومطَّ شفتيه فى سخط ، وهو يشير إلى ساعته ، قائلاً :

- ساعتى لم تتألَّق كساعته ، على الرغم من أنهما من الطراز نفسه .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (نور) ينطلق بسيارته ، فى طريقه إلى مبنى المخابرات العلمية ، وعقله يتساءل عن السبب ، الذى دعاهم لاستدعائه على هذا النحو ..

ظلَّ السؤال يتردَّد فى ذهنه ، حتى بلغ المبنى ، ولم تمض دقائق ثلاث على وصوله إليه ، حتى كان قد اجتاز نظم الأمن والتحقق من الهوية ، وهبط داخل المصعد الزجاجى الأسطوانى ، إلى الطابق السرى الخاص ، الذى يحوى حجرة القائد الأعلى وغرفة العمليات ..

واستقبله الدكتور (ناظم) والقائد الأعلى فى غرفة العمليات ، وبصحبتهما رجلان آخران ، تعرَّفهما (نور) فور رؤيتهما ، فأدَّى التحيةَ العسكرية فى احترام ، وهو يقول :

- سيِّدى الرئيس .. سيادة وزير الدفاع .

أشار إليه رئيس الجمهورية بالجلوس ، وهو يقول :

- اجلس أيها المقدَّم (نور) .. نحن فى انتظارك على أحرَّ من الجمر .

جلس (نور) على المقعد المخصَّص له ، فقال الدكتور (ناظم) فى توتَّر :

- الأمر بالغ الخطورة ، ويهدِّد أمن الوطن كله يا (نور) .. بل ولن أبالغ لو قلت إنه يهدِّد عالمنا كله بالفناء .

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يغمغم :

– يا إلهى !.. إلى هذا الحد ؟!

زفر الدكتور (ناظم) فى أسى ، وهو يقول :

– وربما أكثر مما تتصورَ يا (نور) .

وراح يروى له ما حدث ، بأدق التفاصيل كالمعتاد ، واستمع إليه (نور) فى اهتمام وارتياع واضحين ، حتى بلغ نهاية الأحداث ، قائلاً :

– وبالطبع ، لم يعثر رجال الأمن على الدكتور (هاشم) فى منزله ، ولا فى أى مكان آخر .. لقد اختفى الرجل تمامًا ، وكأنما انشقت الأرض وابتلعته ، ولكننا تلقينا رقم حسابه الخاص فى (سويسرا) ، عن طريق الفاكس ، ولقد أرسله من منزله ، قبيل اختفائه مباشرة .

أكمل القائد الأعلى :

– إنه لم يغادر (مصر) ، فقد تحرينا الأمر ، وراجعنا توزيع المسام العرقية فى بصمات كل من غادروا البلاد ، من المنافذ البرية والبحرية والجوية ، وهذا أمر يستحيل تزويره كما تعلم ، وهذا يعنى أنه مازال هنا ، فى مكان ما ، مع أخطر سلاح فيروسى عرفه التاريخ ، منذ منشأ الحروب البيولوجية .

سأل (نور) فى اهتمام :

– هل تم فحص الفيروس ، الذى قتل رجال الأمن الأربعة ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) ، وقد تضاعف توتره خمس مرات على الأقل :

– بالطبع يا (نور) ، وهذا أكثر أجزاء المشكلة خطورة ، فذلك الفيروس(*) غير معروف على الإطلاق ، ومن الواضح أن الدكتور (هاشم) هو المسئول عن وجوده ، باستخدام الهندسه الوراثية ، وعلم التطوّر الفيروسى ، ويبدو أنه يعمل على تطويره منذ عامين أو ثلاثة فى سرية تامة ، فقد راجعنا سجلاته وملفات الكمبيوتر الخاصة به ، وكشفنا أنه يجرى تجاربه على تطوير الفيروسات ، دون تحديد نوعها أو سلالاتها الأصلية ، بحجة أن عمله يحتاج إلى سرية تامة ، وأجهزة حديثة للغاية ..

(*) الفيروسات : مجموعة من الكائنات الحية المعدية ، والمسببة لكثير من الأمراض ، فى الإنسان والحيوان والنبات ، تتميَّز بدقة حجمها ، بحيث لا ترى إلا بالمجهر الإليكترونى ، كما أنها متطفلة ، لا تتكاثر إلا داخل الخلايا الحية ، وبعضها له صفات انتقائية ، فيصيب الجهاز العصبى وحده ، أو الجهاز التنفسى أو المعوى .

ثم تنهد فى توتر ، قبل أن يستطرد :

- والنتائج الأوَّلية لفحص الفيروس الجديد ، تشير إلى أنه بالغ النشاط ، بحيث لا تتجاوز فترة حضانته ، وهى الفترة ما بين الإصابة به وظهور أعراضه المرضية ، دقائق معدودة ، وهو فيروس مزدوج الغلاف ، له صفة الانتقاء ، فلا يهاجم إلا الخلايا الكبدية مباشرة ، وما إن يخترقها حتى تتكوَّن لديها شراهة مذهلة لامتصاص الماء ، من كل الخلايا المحيطة بها ، فتتضخَّم ، وتنتفخ بسرعة عجيبة ، إلى أن ينتهى الأمر بانفجار الكبد نفسه ، مما يؤدى إلى وفاة فورية وعاجلة ، وما بين الإصابة والوفاة ، يعانى المريض آلامًا رهيبة ، فقد تؤدى إلى موته ، قبل المرحلة الأخيرة ..

بدا الامتعاض على وجه (نور) ، وهو يقول :

- يا لها من صورة بشعة !

أجابه وزير الدفاع فى حزم :

- الصورة الأكثر بشاعة هى أن هذا الفيروس يمكن أن ينتقل باللمس أيها المقدَّم ، وليس عن طريق سوائل

الجسم وحدها كالفيروسات الأخرى ، لذا فالإصابة بالعدوى منه لا تستلزم نقل الدم ، أو المعاشرة الجنسية ، أو المعايشة الطويلة مع المصاب ، بل تكفى لمسة واحدة منه ، لتنتقل إليك العدوى كانتقال النار عبر الهشيم ، وهذا يعنى أن معدَّل الإصابة يمكن أن يرتفع إلى درجات رهيبة ، وبسرعة مذهلة لو بدأت الإصابة وسط زحام ، أو فى مكان مفتوح ، ولقد قدَّر الخبراء عدد الوفيات والإصابات بمليونى شخص يوميًا ، أى أن (مصر) كلها يمكن أن تفنى خلال شهر واحد ولن يصمد العالم الخارجى أكثر من شهر آخر ، تتحوَّل بعده الكرة الأرضية إلى كوكب مهجور مقفر ، قد ترثه الحيوانات والطيور والزواحف والحشرات ، ما لم يعمل الفيروس على تطوير نفسه مع الوقت ، والانقضاض عليها بهذه الشراسة المخيفة .

وهزَّ رئيس الجمهورية رأسه ، قائلاً :

- إننا لا نعارض بالطبع فى دفع المبلغ الذى طلبه أيها المقدَّم ، ولكنك تعرف طبيعة المبتزين .. لن يشبع مهما حصل على المال ، حتى ولو امتلك بحرًا منه .. سيواصل تهديدنا ، وابتزازنا ، حتى نوقع به ، أو نبتكر مصلاً واقيًا من فيروسه الرهيب .

سأل (نور) فى اهتمام :

ـ أمن الممكن ابتكار مصل كهذا ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) هذه المرة :

ـ الدكتور (سمير حافظ) ، خبير الفيروسات ، فى الأمم المتحدة يقول إن لديه مصلاً تجريبيًا ، قد لا يصلح فى مواجهة هذا الفيروس بالذات ، ولكن ربما يحقّق نتائج مدهشة ، مع بعض التطوير .

ثم تنهّد فى أسى ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن هذا التطوير يحتاج إلى أسبوعين على الأقل ، وليس لدينا كل هذا الوقت بالتأكيد .

اندفع وزير الدفاع يضيف :

ـ ولدينا قناعة كبيرة بأن الدكتور (هاشم) سيجرى تجربة أخرى لاختبار فيروسه ، الذى أطلق عليه فى سجلاته اسم (هشيم) ، وهو اسم مشتق من اسمه ، ويناسب طبيعة الفيروس بالتأكيد ، من حيث انتشاره كالنار فى الهشيم ، ويعتقد البعض أنه سيختار مكانًا مزدحمًا هذه المرة ، ليحظى بالدعاية اللازمة ، وبالتأثير القوى ، الذى يدفعنا للاستسلام بأقصى سرعة ، وأكبر درجة خضوع ممكنة .

سأل (نور) فى اهتمام :

ـ لو أنه هناك نية لتحويل المبلغ الذى طلبه إلى حسابه فى (سويسرا) ، فلماذا لا يتمّ هذا بسرعة ، حتى نأمن شره لبعض الوقت ، الذى يمكننا استغلاله للبحث عنه .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يجيب رئيس الجمهورية :

ـ لأنه لدينا قناعة بأن المال ليس هدفه النهائى يا (نور) .. إنه مجرّد اختبار ، لمعرفة مدى خوفنا ، واستعدادنا للمهادنة ، أما هدفه الحقيقى فهو ..

صمت لحظة ، وتبادل نظرة أخرى مع الرجال الثلاثة ، قبل أن يكمل فى حزم :

ـ السيطرة .. السيطرة الكاملة على الأرض ومن عليها .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، على الرغم من اتساع عينيه الشديد ، وردّد فى توتر بالغ :

ـ السيطرة على الأرض ؟! يا إلهى ! كنت أظن أن المجانين الذين يحلمون بهذا قد انقرضوا تمامًا .

هزّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

- لن ينقرضوا أبدًا ، مادام الطمع جزءًا من الطبيعة البشرية يا (نور) .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

ثم اعتدل فى مقعده ، وفرد كتفيه فى اعتداد ، وهو يدير بصره فى وجوههم ، قائلاً :

- فليكن أيها السادة .. من الواضح أن المهمة تحتاج إلى تحرك عاجل وسريع هذه المرة ، لذا فسأحصل على ملف الكمبيوتر ، الخاص بالدكتور (هاشم) ، وأتصل بزميلى (أكرم) ، و ...

قاطعه القائد الأعلى :

- كلا يا (نور) .. إننا نعتقد أن هذه القضية لا تصلح لكما وحدكما .

تطلع إليه (نور) بنظرة متسائلة ، فتابع فى حزم :

- يبدو أن فريقك القديم سيعود إلى العمل أيها المقدم .

تألقت عينا (نور) فى حماس ، وهو يسمع العبارة ، فى حين نهض رئيس الجمهورية يشد على يده ، قائلاً :

- ابذلوا قصارى جهدكم يا (نور) .. مستقبل العالم بين أيديكم .

وأضاف الدكتور (ناظم) فى سرعة :

- كالمعتاد .

وكانت هذه اللحظة أشبه بإعادة مولد الفريق ..

فريق (نور الدين) ، صاحب أفضل وأكبر ملف فى إدارة المخابرات العلمية المصرية ..

ملف المستقبل ..

* * *

« الفريق سيعود إلى العمل رسميًا ؟! »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى سعادة ، وهى تقفز لتتعلق بعنق زوجها (نور) ، وتطبع قبلة فرحة على خده ، فى حين انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول متوترًا :

- أيعنى هذا أن دورى قد انتهى عمليًا ؟

هز (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- مطلقًا يا (أكرم) .. إنما يعنى هذا أنك قد أصبحت جزءًا من الفريق .

سألت (نشوى) فى حذر :

- وماذا عنى ؟!

أجابها (نور) فى حزم :

- أنت دائمًا جزء من الفريق يا (نشوى) ، ولكن ينبغى أن تدبرى من يعنى بـ (محمود) الصغير ، حتى تنتهى هذه القضية .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

- وما الذى تتوقَّعه بشأن هذه القضية يا (نور) ؟

هزَّ (نور) كتفه ، وأشار إليه ، قائلاً :

- المفترض أن يوجَّه هذا السؤال إليك يا عزيزى (رمزى) .. أنت الخبير النفسى هنا ، ولقد راجعت بنفسك الملف النفسى للدكتور (هاشم) .

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- صحيح أننى قرأت الملف النفسى للرجل يا (نور) ، ولكن هذا لا يعنى شيئًا فى الوقت الحالى ، فالشخص الذى نتعامل معه الآن ، يختلف تمامًا عن الدكتور (هاشم صدقى) ، الذى يتحدَّث عنه الملف النفسى ، وربما كانت نقطة الاتفاق الوحيدة بينهما ، هى أن كليهما مفرط الذكاء إلى حد الخطر .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

- هل تعنى أن ذلك الشخص ليس الدكتور (هاشم) الحقيقى ؟!

أجابه (رمزى) :

- بل هو الدكتور (هاشم) نفسه ، ولكن حالته النفسية تختلف تمامًا عما كانت عليه ، منذ سبع سنوات ، عندما التحق بإدارة البحث العلمى ، ورأس قسم بحوث الفيروسات ، فمن الواضح أن الرجل قد عانى كثيرًا من عدم تقدير عبقريته ، من الناحية المادية ، وأن هذا قد ولَّد فى أعماقه مقتًا وكراهية للنظام كله ، وبدلاً من أن يعلن عن غضبه ، ويطالب بإصلاح أحواله ، كتم الغضب والكراهية فى داخله ، وحوَّل مؤشر علمه وعبقريته إلى خانة الانتقام ، وراح يجهِّز ذلك الفيروس المدمِّر ، الذى أطلق عليه اسم (هشيم) ، لينتقم به من رؤسائه ، ودولته ، وربما من البشرية جمعاء .

سأله (نور) فى اهتمام :

- هل تعتقد أنه سيسعى لضربة أخرى ، قبل مضى المهلة الممنوحة ؟

أجاب (رمزى) بسرعة :

- بالتأكيد .. خبراء وزارة الدفاع كانوا على حق تمامًا فى تشخيصهم لموقفه ، فالمال ليس هدفه الحقيقى ، وإنما هو وسيلة لإثبات قوته ، وخطوة لانتقاله إلى السلطة الحقيقية ، وهدف السيطرة هذا هو

الذى يدفعه للتحرُّك فى سرعة ، إذ إنه يدرك جيدًا أنه مهما بلغت قوة الفيروس ، فلابد من إيجاد مصل واق منه ، طال الوقت أم قصر ، ثم إن القضاء على العالم لا يحقِّق هدفه ، ولا يمنحه المتعة المنشودة ، فلابد أن يتبقى عدد كاف من البشر ، يمارس عليهم السطوة والسيطرة ، اللذين يحلم بامتلاكهما فى النهاية .

قال (أكرم) فى توتر :

ـ كيف يتفق هذا مع تأكيدك أنه سيضرب ضربة ثانية حتمًا ؟! النتائج التى أبلغونا بها ، عن سرعة تدمير الكبد وموت الضحايا ، والمصابين بالفيروس الرهيب ، تشير إلى أنه لو قام بضربة ثانية ، فى مكان مزدحم ، كما يتوقَّع خبراء وزارة الدفاع ، فسيموت المئات فى دقائق معدودة ، وسينتشر الوباء فى (مصر) كلها خلال أيام معدودة ، ومع عدم وجود مصل واق جاهز للاستخدام ، سينتهى الأمر خلال شهر واحد ، كما قدَّر الخبراء أيضًا .

لوَّح (رمزى) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ لن يسمح بحدوث هذا .. سيضرب ضربته ، للفت الأنظار ، والحصول على الضجة الإعلامية اللازمة ، ولكن دون نشر الوباء على نطاق واسع .

سألته (سلوى) فى حيرة :

ـ وكيف يمكنه ضمان هذا وذاك فى آن واحد ؟!

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

ـ بأن ينذرنا قبل حدوث الضربة .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ هل تعتقد أنه سيفعل هذا ؟!

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ دون أدنى شك .

استغرق (نور) فى تفكير عميق لبعض الوقت ، وتركَّزت كل العيون عليه فى اهتمام ، قبل أن يرفع عينيه إليهم ، قائلاً :

ـ هذا يعنى ضرورة أن نعثر عليه ، قبل أن تتضاعف زهوة النصر فى أعماقه ، ويتضاعف عدد ضحايا فيروسه الرهيب .

ثم أطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، واستطرد :

ـ لقد كان السيد رئيس الجمهورية على حق ، عندما قال : إن مستقبل ومصير العالم بين أيدينا يا رفاق ، وينبغى أن نبذل قصارى جهدنا لمنع الكارثة المقبلة .. وبأى ثمن .

نطق الكلمة الأخيرة فى حزم شديد ، وبلهجة ارتجفت لها أجسادهم حماسًا وانفعالاً ، فقالت (سلوى) :

- ولكن السؤال هو : من أين نبدأ رحلة البحث يا (نور) ؟! الرجل اختفى من منزله ، وربما يكون فى أى مكان فى (مصر) الآن .

أجابها (نور) فى حزم :

- ولكنه سيجرى اتصالاً من مكان ما ، لتحديد هدف ضربته التالية ، وأنت خبيرة فى الاتصالات ، وأعتقد أنه يمكنك تحديد مصدر الاتصال بالسرعة الكافية لتحديد موقعه ، وإطلاق رجالنا خلفه .

هتفت (نشوى) فى حماس :

- بالضبط يا أبى .. حتى العباقرة لهم أخطاء كباقى البشر .

بدا القلق على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

- مهلاً يا رفاق .. لم أكن أبالغ ، عندما قلت : إن خصمنا مفرط الذكاء بحق ، وينبغى أن تتعاملوا معه بحذر بالغ ، فلن يكون من السهل أبدًا الإيقاع به .

استلّ (أكرم) مسدسه ، وهو يقول فى مزيج من العصبية والسخرية :

- من الواضح أنك تخشى الرجل إلى حد الفزع ، وتثق بعبقريته إلى حد المبالغة ، ولكننى أعدك أن أنسف رأسه العبقرى هذا برصاصة واحدة من مسدسى ، عندما أعثر عليه .

توقَّع الجميع غضب (رمزى) وثورته ، على الأسلوب المستفز ، الذى تحدَّث به (أكرم) ، إلا أنه بدا لدهشتهم شديد الهدوء ، وهو يقول :

- المهم أن تعثر عليه أولاً .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن ارتفع رنين هاتف الفيديو بغتة ، فأشار (نور) إلى الجميع بالصمت ، واتجه إليه فى خطوات واسعة ، وضغط زر الاستماع ، وهو يقول :

- هنا منزل المقدَّم (نور الدين محمود) ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فى شاشة هاتف الفيديو ، التى حملت صورة وجه مألوف ، لرجل يبتسم فى سخرية ، قائلاً بلهجة متهكمة مستفزة :

- أعلم بالتأكيد أنه منزلك ، أم هل تظن أننى أتصل بالهواتف الأخرى عشوائيًا .

هتف (أكرم) ، وهو يندفع نحو (نور) :

ـ من هذا الصفيق يا (نور) ؟!

ولم يكن (نور) بحاجة لإجابة سؤاله ، أو سؤال باقى الرفاق ، الذين اتجهوا نحوه بدورهم ، فما إن وقعت عيون الجميع على صاحب العبارة ، الذى تبدو صورته واضحة على الشاشة ، حتى تعرّفوه على الفور ، وتفجّرت فى أعماقهم دهشة بلا حدود ..

فقد كان ذلك الرجل هو (هاشم) ..

الدكتور (هاشم صدقى) ..

شخصيًا .

★ ★ ★



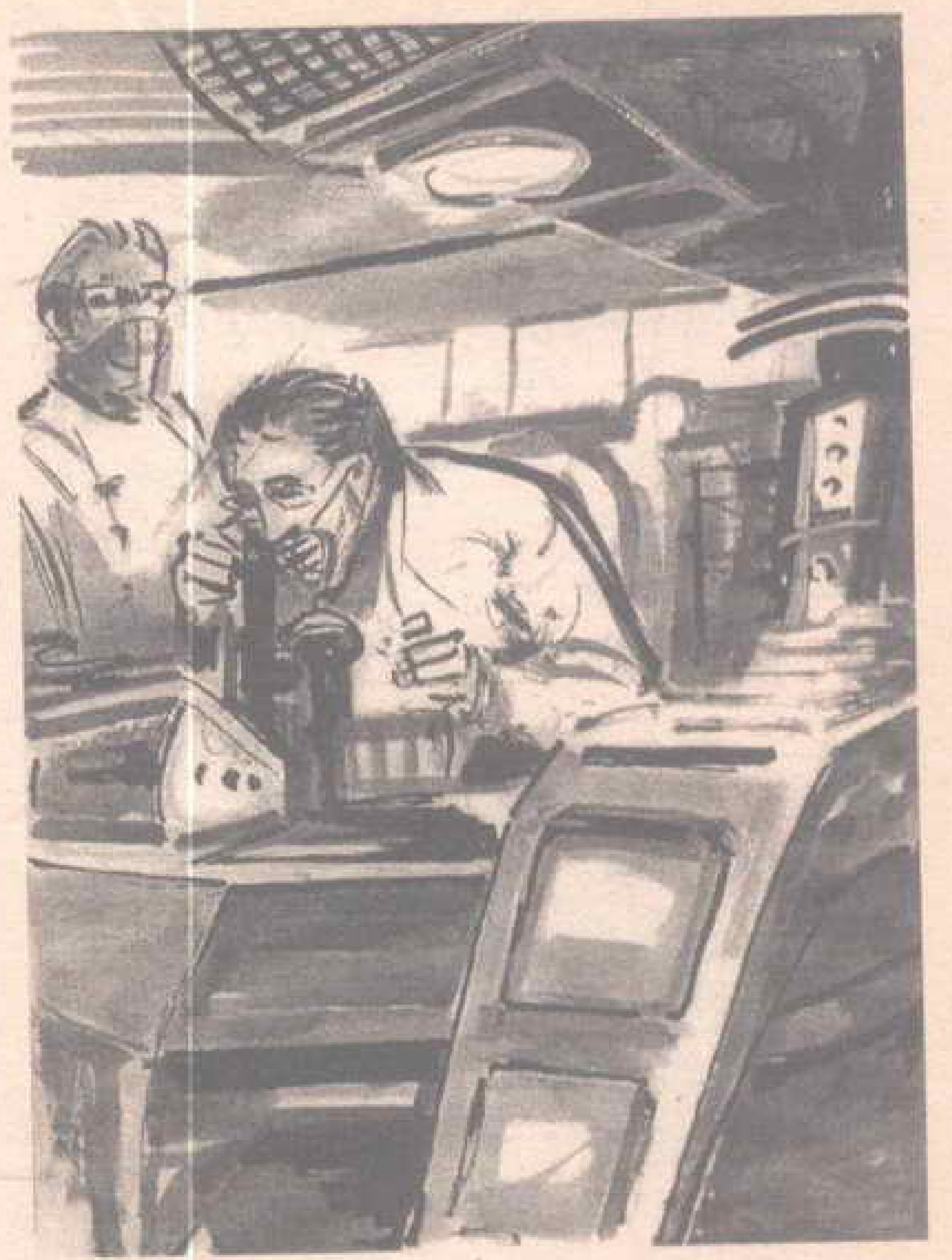
٢ ـ الهدف ..

نهض الدكتور (سمير حافظ) ، خبير الفيروسات العالمى من أمام المجهر الإليكترونى الجديد ، ليصافح الدكتور (ناظم) ، الذى سأله فى لهفة واضحة ، وهو يشير إلى المجهر :

ـ هل من جديد بشأن المصل الواقى يا دكتور (سمير) ؟

كان كلاهما يرتدى زيًا واقيًا رقيقًا ، داخل الحجرة المعقّمة ، والدكتور (سمير) يعود للجلوس أمام المجهر ، مجيبًا :

ـ المصل المتوافر لدينا (م س ح ٧) ، له تأثير ضعيف للغاية على الفيروس (هشيم) ، فالغلاف المزدوج للفيروس يقيه من تأثير المصل ، ويمنحه قوة إضافية على مقاومته ، واختراق الخلايا الكبدية الحية ، وأنا وفريقى نبذل قصارى جهدنا ، لإنتاج جيل ثان من المصل ، تحت اسم (م س ح ٨) ، يمكنه تدمير الغلاف المزدوج لـ (هشيم) ، وإضعافه ، بحيث يعجز عن اختراق الخلايا الكبدية ، وينتهى أثره المدمّر .



كان كلاهما يرتدى واقيًا رقيقًا ، داخل الحجرة المعقَّمة ، والدكتور (سمير) يعود للجلوس أمام المجهر . .

ثم تنهَّد فى أسف ، وهزَّ رأسه ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن هذا يحتاج حتمًا إلى بعض الوقت .

أجابه الدكتور (ناظم) فى انفعال :

ـ ابذلوا جهدًا أكبر يا دكتور (سمير) .. لقد أمر السيِّد رئيس الجمهورية بمنحكم كل التسهيلات والاعتمادات اللازمة .. أى شىء تحتاجون إليه سنحضره لكم على الفور ، الميزانية مفتوحة ، ولكم الأولوية المطلقة ، ولكن ابذلوا جهدًا أكبر .

تنهَّد الدكتور (سمير) مرة أخرى ، وقال :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل يا دكتور (ناظم) ، ولدينا كل ما نحتاج إليه من إمكانيات ، ولكننا لانستطيع السيطرة على الوقت .. اليوم سيظل أربعًا وعشرين ساعة ، والساعة ستظل ستين دقيقة ، مهما بذلنا من جهد ، ومهما حصلنا عليه من إمكانيات .

حان دور الدكتور (ناظم) ، ليتنهَّد فى يأس ، وهو يقول :

ـ أعلم هذا يا دكتور (سمير) .. أعلم هذا ، ولكن من الواضح أن الدكتور (هاشم) لن يمنحنا مهلة لالتقاط الأنفاس ، ولا لإيجاد مصل مضاد .. إنه يسعى للسيطرة على الجميع ، ومن المؤكد أنه وضع خطة

متقنة لتحقيق هذا ، وأنت تعلم مثلى ، كم من الشاق أن تحارب خصمًا عبقريًا ، طرح المبادئ والقيم جانبًا ، وقرر الانتصار فى المعركة ، بأية وسيلة كانت .

أومأ الدكتور (سمير) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

ـ أنا لم أختبر هذا بنفسى ، ولكن يمكننى فهمه .

وتنهد فى عمق ، وهو ينهمك فى التفكير لبعض الوقت ، قبل أن يقول :

ـ ربما كانت هناك وسيلة أخرى .

التفت إليه الدكتور (ناظم) ، وهو يسأله فى لهفة :

ـ حقًا ؟!

عاد الدكتور (سمير) يومئ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هناك طبيب يُدعى الدكتور (مجدى خليل) ، توصل منذ عامين إلى أسلوب جديد متطور ، لتقوية خلايا الكبد المصابة بفيروس التهاب الكبد الوبائى (C) ، ومنع الفيروس من اختراق الخلايا الكبدية غير المصابة ، وما دام فيروس (هشيم) ينتقى الخلايا الكبدية ، ويهاجمها بالتحديد ، مثل فيروس (C) ، فربما تنجح وسيلة الدكتور (مجدى خليل) فى الحد من قدرته ، والسيطرة على تأثيره .

قفز الدكتور (ناظم) من مقعده ، وهو يهتف بحماس :

ـ بالتأكيد .. سنستدعى الدكتور (مجدى خليل) على الفور ؛ لينضمَّ إلى فريق البحوث .

أشار إليه الدكتور (سمير) ، قائلاً :

ـ المشكلة أن الدكتور (مجدى خليل) ليس هنا .

حدق الدكتور (ناظم) فى وجهه لحظة ، قبل أن يكرر فى لهجة أقرب إلى الذعر :

ـ ليس هنا ؟!

أجابه الدكتور (سمير) :

ـ نعم .. إنه فى الولايات المتحدة الأمريكية .. لقد حصل على عقد لتدريس أمراض الكبد ، فى جامعة (فيرجينيا) ، و ...

قاطعه الدكتور (ناظم) فى حزم :

ـ فليكن حتى على القمر .. سنرسل فى استدعائه على الفور .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف :

ـ صدقنى يا دكتور (سمير) .. لن نتوانى عن القيام بأى عمل ، مهما بلغت تكلفته ، ومهما تكبدنا من أجله من مشاق ، فى سبيل منع الكارثة القادمة ..

الكارثة التى من شأنها أن تبيد الجنس البشرى كله ، فى شهور قليلة .. أخطر كارثة بيولوجية واجهتها الأرض .

وكان صادقًا ومحقًا ، فى كل حرف نطق به ، فى تلك اللحظة ..

إنهم يواجهون أخطر كارثة بيولوجية عرفتها الأرض .

على الإطلاق ..

★ ★ ★

لثوان ، حدّق (نور) ورفاقه فى صورة الدكتور (هاشم) ، على شاشته هاتف الفيديو ، قبل أن يمزّق (نور) توتّر الموقف ، وهو يقول فى صرامة :

ـ دكتور (هاشم) ؟!

قهقه الرجل ضاحكًا فى سخرية ظافرة ، قبل أن يقول :

ـ نعم أيها المقدّم (نور) .. أنا الدكتور (هاشم) .. تعرّفك إياى يثبت أن استنتاجى صحيح .. لقد أسندوا إليك المهمة .. أليس كذلك ؟!

اندفعت (سلوى) نحو كمبيوتر متصل بهاتف الفيديو ، وضغطت أزراره بسرعة ، فارتسمت على

شاشته خريطة كبيرة للمدينة ، ولحقت بها ابنتها (نشوى) ، قائلة فى انفعال :

ـ إنه يتحدّث من مكان عام .. هناك أشخاص يتحركون خلفه ، وواجهة متجر على الأرجح .

غمغمت (سلوى) ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ اطمئنى .. لو تحدّث إليه (نور) لنصف دقيقة أخرى ، سيمكن تحديد موقعه بمنتهى الدقة .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتابع عملها ، قائلاً :

ـ سيكون هذا من سوء حظه .

أما (رمزى) ، فقد بقى إلى جوار (نور) ، أمام هاتف الفيديو ، يتابع حديث الدكتور (هاشم) فى اهتمام ، و (نور) يقول فى صرامة :

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط يا دكتور (هاشم) ؟

أجابه الرجل بسرعة :

ـ أفضل مما تسعى إليه أنت أيها المقدّم .. قل لى : كم يبلغ دخلك السنوى ؟!

أجاب (نور) فى صرامة :

ـ ما يكفى .

قهقه الدكتور (هاشم) ضاحكًا فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هل تصوَّرت أننى أحاول رشوتك ؟! يالك من ساذج !! لست أنا من يقع فى هذا الخطأ التافه .. لقد درست ملفك وملف فريقك جيدًا أيها المقدَّم ، وكنت واثقًا من أنهم سيسندون إليكم هذه المهمة ؛ فأنتم أفضل فريق فى الإدارة ، وملفكم يحفل بالقضايا الناجحة ، بلا قضية فاشلة واحدة ، فيما عدا هذه القضية بالطبع .

وأطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يضيف :

ـ أراهن على أن زوجتك خبيرة الاتصالات تجلس الآن أمام جهاز الكمبيوتر ، فى محاولة لتحديد مصدر مكالمتى ، وإلى جوارها ابنتك خبيرة الكمبيوتر ، وهما فى حاجة إلى ثلاثين ثانية للتوصُّل إلى هذا .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ يا للوغد !

وتوترت (سلوى) كثيرًا ، وهى تتابع الخطوط

المتقاطعة ، التى تتحرك فوق خريطة المدينة فى سرعة ، فى حين غمغم (رمزى) :

ـ ربَّاه !.. الرجل ليس عبقريًا فحسب .. إنه خبير فى الطبائع البشرية أيضًا .

أما (نور) ، فقد التقى حاجباه ، وهو يقول :

ـ لماذا اتصلت بى يا دكتور (هاشم) ؟!

ابتسم الرجل فى سخرية ، قائلًا :

ـ يمكنك اعتباره نوعًا من اختبار الذكاء أيها المقدَّم .. ومن اختبار قدرات فريقك العبقرى أيضًا ، فالمفترض أن تتوصَّل زوجتك وابنتك إلى مصدر مكالمتى الآن ، لو أنهما بالكفاءة اللازمة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى التفتت (سلوى) إلى (نور) ، قائلة :

ـ إنه يتحدَّث من أحد الفنادق بشارع الهرم يا (نور) .. ومن الحجرة رقم (٣٠٦) بالتحديد .

هتفت (نشوى) فى دهشة :

ـ ولكن هذا مستحيل !.. انظرى إلى الشاشة .. إنه يتحدَّث من مكان مفتوح .

انعقد حاجبا (سلوى) فى توتر ، والدكتور (هاشم) يطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قائلًا :

- هل أخبرتك أننى أتحدث من فندق بشارع الهرم ، ومن الحجرة (٣٠٦) ؟! لو أنها فعلت ، فأخبرها أننى خدعتها ، وأنه عليها أن تراجع معلوماتها فى علم تعقُب الاتصالات .

وتألَّقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

- وأننى الأكثر ذكاءً وعبقرية .

التقى حاجبا (سلوى) فى غضب ، وعادت تضرب أزرار الكمبيوتر بيدها فى توتر ، وغمغمت (نشوى) :

- آه .. يبدو أنه أوصل الهواتف بعضها ببعض ، وصنع شبكة خاصة به ليشتّت موجة التتبُّع .

أجابها (أكرم) فى حنق :

- هذا لا يحمل شيئًا من العبقرية .. لقد استأجر الحجرة (٣٠٦) فى ذلك الفندق ، وأوصل هاتفها بجهاز التقاط وتحكُّم عن بعد ، بحيث يمكنه الاتصال بالحجرة من مكان آخر ، ودفع هاتفها للاتصال بـ (نور) .

تمتمت (سلوى) ، وهى تواصل عملها فى اهتمام :

- ليس الأمر بهذه البساطة .

ثم أضافت فى صرامة :

- ولكننى سأتوصَّل إليه بإذن الله .

أما (رمزى) فقد لاذ بالصمت تمامًا ، وهو يتابع حديث (نور) ، الذى قال للدكتور (هاشم) فى حزم :

- لعبة جيدة يا رجل ، ولكننى لست أظنك تجرى اتصالك بنا من أجل إثبات تفوّقك فحسب .

هزّ الدكتور (هاشم) كتفيه ، قائلاً :

- كلا بالتأكيد .. لقد اتصلت بكم لأخبركم أن قنبلة فيروسية ستنفجر وسط الناس ، بعد سبع عشر دقيقة بالضبط من الآن .

تفجّر قوله فى رءوسهم كالقنبلة ، وهتف (أكرم) فى غضب :

- أيها الوغد الحقير .

أما (نور) ، فسأل فى حدة :

- أين يا رجل ؟! أين ستنفجر قنبلتك ؟!

أشار الدكتور (هاشم) إلى خلف ظهره بإبهامه ، مجيبًا :

- هنا .. فى المكان الذى أقف فيه .

ثم مال بوجهه نحو الشاشة ، مستطردًا فى سخرية :

- ولو نجحتم فى معرفة هذا المكان .. أقول : لو .. فربما يمكنكم منع انفجارها .

ثم تراجع ، مضيفًا فى سخرية :

- ولكننى أشك فى هذا كثيرًا .

قالها ، وأطلق ضحكة أخرى ساخرة طويلة ، و (أكرم) يصيح به :

- أيها الحقير .. أيها الوغد .. أقسم أن أنسف رأسك الغبى هذا ، مهما كان الثمن .

ومع آخر حروف كلماته ، اختفت الصورة عن الشاشة ، فهتفت (سلوى) :

- ربَّاه !.. انقطع الاتصال ، قبل أن أتوصَّل إليه بثانية واحدة .

وهبَّ (رمزى) من مقعده ، قائلاً :

- هذا الرجل مجنون .. مجنون بحق .. لقد أصابته لوثة العظمة ، وصار بالغ الخطورة .

أشار إليه (نور) ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، قائلاً فى توتر :

- مجنون أو غير مجنون .. ليست هذه قضيتنا الآن .. المهم أنه توجد قنبلة فيروسية ، ستنفجر بعد ست عشرة دقيقة من الآن ، فى مكان ما .

هتفت (نشوى) :

- إنه مكان عام .. أنا واثقة من هذا .. لقد لمحت متجرًا خلفه ، ولكن اسمه لم يكن واضحًا .

ضغط (نور) زر استرجاع الاتصال ، وهو يقول :

- أوافقك على أنه مكان عام ، وهو علَى مقربة من هنا أيضًا .

سأله (أكرم) فى دهشة :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- ذلك الوغد يحاول منحنا مفاتيح خاصة ؛ لمعرفة المكان ، ولهذا اتعمَّد أن يبدو المتجر من خلفه ، وأبلغنا أننا لو تعرَّفنا المكان ، فربما يمكننا منع الانفجار ، وهذا يعنى أننا نستطيع الوصول إلى المكان قبل موعد الانفجار ، أى أنه يبعد عنا عشر دقائق تقريبًا .

بدأ الهاتف فى إعادة بث الاتصال على شاشته الصغيرة ، وما إن ظهر المتجر ، حتى ثبَّت (نور) الصورة ، وقال :

- إنه متجر بالفعل ، لبيع التحف والعاديات ، واسمه يبدأ بحرفى السين والحاء .

قفزت (نشوى) إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

- متجر للتحف والعاديات ، يبدأ اسمه بحرفى السين والحاء ، على مسافة عشر دقائق بالسيارة من هنا .. أعتقد أنه يمكننا العثور على شىء كهذا .

تعلقت عيون الجميع بها، وهى تضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، والمعلومات تتراص على الشاشة ، قبل أن يستقر فوقها اسم واحد ، أشارت إليه (نشوى) ، هاتفة فى انفعال :

- ها هو ذا .. (سحر الشرق) .. متجر تحف وعاديات شهير ، فى مركز (الهدف) للتجارة الدولية .

صاح (نور) :

- عظيم .. هيا بنا يا (أكرم) .. هذا دورنا .

سأله (رمزى) معترضًا :

- ولماذا (أكرم) وحده ؟! ماذا عنى أنا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يسرع مع (أكرم) إلى سيارته :

- ستبقى أنت هنا يا (رمزى) ، مع (سلوى) و (نشوى) .. هما سيواصلان عملهما لمعرفة الوسيلة التى استخدمها الدكتور (هاشم) ، لتشتيت إشارة التتبُّع ، وأنت ستراجع الاتصال أكثر من مرة ، لتفهم طبيعة خصمنا أكثر .

غمغم (رمزى) فى ضيق :

- فليكن يا (نور) .. سأبقى .

لم يسمع (نور) حرفًا واحدًا مما قاله (رمزى) ، وهو يقفز داخل سيارته ، ولم يكد (أكرم) يلحق به ، حتى انطلق بها على الفور ، قائلاً :

- ستجد فى تابلوه السيارة زيًا رقيقًا شفافًا ، حاول أن ترتديه بسرعة ، وتضع قناعه على وجهك .. إنه رقيق بحيث لن يعوق حركتك ، ومتين حتى يقيك العدوى بالفيروس ، فى حالة احتكاكنا المباشر به .

سأله (أكرم) ، وهو يفتح تابلوه السيارة ، ويلتقط الزى :

- وماذا عنك ؟!

أجابه (نور) ، وهو يلتقط مسماع جهاز اللاسلكى فى سيارته :

- لدى زى آخر مماثل .

وضغط زر المسماع ، قائلاً فى حزم :

من المقدّم (نور) إلى الإدارة .. الخصم حدد الهدف التالى .. مركز (الهدف) للتجارة الدولية .. ستنفجر قنبلة فيروسية هناك ، خلال اثنتى عشرة دقيقة فحسب .. اتخذوا كل الإجراءات اللازمة لإخلاء المركز ،

قبل المهلة الممنوحة ، وحاولوا إثارة أقل قدر من الذعر والفزع .. أكرر .. هنا المقدّم (نور) ..

ارتدى (أكرم) الزى الواقى بسرعة ، و (نور) يكرّر النداء ، ثم سأله ، وهو يسحب مشط مسدسه :

ـ هل تعتقد أنهم يستطيعون إخلاء المركز ، فى هذه الفترة القصيرة يا (نور) ؟! إنه يكون عادة مزدحمًا للغاية ، وإخلاء مكان مزدحم كهذا مشكلة كبيرة .

نقل (نور) الحركة إلى المناور الآلى فى السيارة(*) ، حتى يمكنه ارتداء زيه الواقى بدوره ، وهو يقول :

ـ لن يمكنهم إخلاءه كله بالتأكيد ، ولكن محاولتهم ستقلّل عدد الضحايا على الأقل .

أجابه (أكرم) :

ـ ولكن محاولة الإخلاء المباغتة ستثير قدرًا من الفزع ، يؤدى حتمًا إلى وقوع عدد من الإصابات بين رواد المركز .

(*) المناور الآلى : جهاز حديث ، يوجد فى بعض طرازات (المرسيدس) العليا ، وهو جهاز يمنع السيارة من الارتطام بالسيارات الأخرى ، فى أثناء انطلاقها ، ولديه القدرة على القيام بمناورات مركبة بدون تدخل السائق .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد ، ولكننا نبذل كل ما يمكننا يا (أكرم) ، ومن الواضح أن الدكتور (هاشم) يجيد اللعبة ، وأن الانتصار عليه لن يكون سهلاً أبدًا .

أطلق (أكرم) ضحكة ساخرة عصبية ، قبل أن يقول :

ـ الانتصار عليه ؟! ما يحدث الآن يا (نور) لا صلة له بالانتصار عليه .. إننا نلهث بشدة ، فقط لنقلّل من حجم خسارتنا يا (نور) .

أجاب (نور) فى حزم :

ـ فى هذه الجولة فقط يا (أكرم) .. فى هذه الجولة فقط .. ومن يدرى ما الذى سيكون عليه الحال فى الجولة القادمة ، وفى نهاية المباراة نفسها ؟!

نعم يا (نور) .. من يدرى ما الذى سيكون عليه الحال فى الجولة القادمة ؟!

من يدرى ؟!

من ؟!

* * *

« السادة روّاد مركز (الهدف) للتجارة الدولية ..
نعتذر عن إزعاجكم فى هذه اللحظة ، ولكن إجراءات الأمن تحتم إجراء تجربة إخلاء طوارىء ، ما بين الحين والآخر .. لا داعى للقلق ، ونرجو أن تتجهوا إلى أبواب الخروج فى سرعة وانتظام .. نكرّر .. إنها مجرّد تجربة أمن فحسب .. »

على الرغم من اللهجة الهادئة ، التى انطلق بها النداء ، عبر مكبرات الصوت الإليكترونية ، فى كل أرجاء المركز التجارى ، إلا أن رواده شعروا بقلق شديد ، جعلهم يتوجهون إلى أبواب الخروج فى سرعة ، ويتزاحمون فى توتر ملحوظ ، أربك رجال الأمن ، وجعلهم يبذلون جهدًا مضاعفًا ، فى محاولة لتنظيم الأمر ، ومقاومة الاضطراب الحادث ..

ولكن هيهات ..

فمع الزحام الشديد ، تضاعف قلق الروّاد وتوترهم ، فتدافعوا فى عنف أكثر ، وراح بعضهم يتصرّف بعصبية ، ويدفع الآخرين ويقفز عبرهم ، محاولاً الوصول إلى الأبواب ..

وفى شرفة من شرفات الطابق الخامس من المركز ، المكوّن من عشرة طوابق ، وقف رجل يبتسم فى سخرية ، وهو يتابع ما يحدث ..

رجل يعرف جيدًا ، لماذا يحدث كل هذا ..

رجل يُدعى الدكتور (هاشم صدقى) ..

ولدقيقة كاملة ، وقف الدكتور (هاشم) يراقب الزحام والفوضى ، اللذين سادا المكان ، ثم لم يلبث أن أخرج من جيبه قنينة أخرى صغيرة ، امتلأت عن آخرها بذلك السائل المائل إلى الزرقة ، ووضعها على حاجز الشرفة ، وألصق بها مفجّرًا صغيرًا ، فى حجم عملة معدنية بسيطة ، وهو يغمغم ساخرًا :

- أتعشّم أن تصل فى الوقت المناسب ، أيها المقدّم (نور) ، فالمتعة تصبح أكثر ، عندما تبلغ الأمور حافة الهاوية .

وتراجع ملقيًا نظرة أخيرة على القنينة ، قبل أن يغادر الطابق الخامس ، ويستقل المصعد إلى الطابق الأرضى فى هدوء عجيب ..

وداخل المصعد ، ضغط زرًا صغيرًا فى ياقة سترته ، فانطلق من جانبى الياقة شعاعا ليزر ، رسما حول وجهه صورة هولوجرامية لملامح جديدة ، تختلف تمامًا عن ملامحه الأصلية ..

وعندما بلغ المصعد الطابق الأرضى ، لم يتجه الدكتور (هاشم) إلى أبواب الطوارىء مثلما يفعل

الآخرون ، وإنما اتجه إلى حجرة الحراس ، فى نهاية المركز ، وعندما بلغها اعترض الحارس الوحيد فيها طريقه ، وهو يقول :

- معذرة أيها السيد .. الخروج من أبواب الطوارئ فى المقدمة .

أشار الدكتور (هاشم) إلى باب الخروج الخلفى ، عبر حجرة الحراس ، وهو يقول فى هدوء عجيب :

- ولكننى أرغب فى الخروج من هنا ، فلست أميل إلى العنف والمزاحمة ..

هز الرجل رأسه نفيًا فى صرامة ، وهو يقول :

- القانون لا يمنحك هذا الحق يا سيدى ، فهذا الباب مخصص للمسئولين ورجال الحراسة ، و ...

قاطعه الدكتور (هاشم) بابتسامة ساخرة ، وهو يستل مسدسًا من جيبه ، ويصوبه إليه ، قائلًا :

- وأنا .

اتسعت عينا الحارس ، وقفزت يده إلى مسدسه الليزرى ، المعلق فى حزامه ، ولكن الدكتور (هاشم) ضغط زناد مسدسه فى سرعة ، فانطلقت منه حزمة من أشعة الليزر نسفت رأس الحارس المسكين فى صمت ،

فسقط جثة هامدة عند قدمى الدكتور (هاشم) ، الذى تألقت عيناه بجذل سادى ، وهو يعيد المسدس إلى جيبه ، قائلًا :

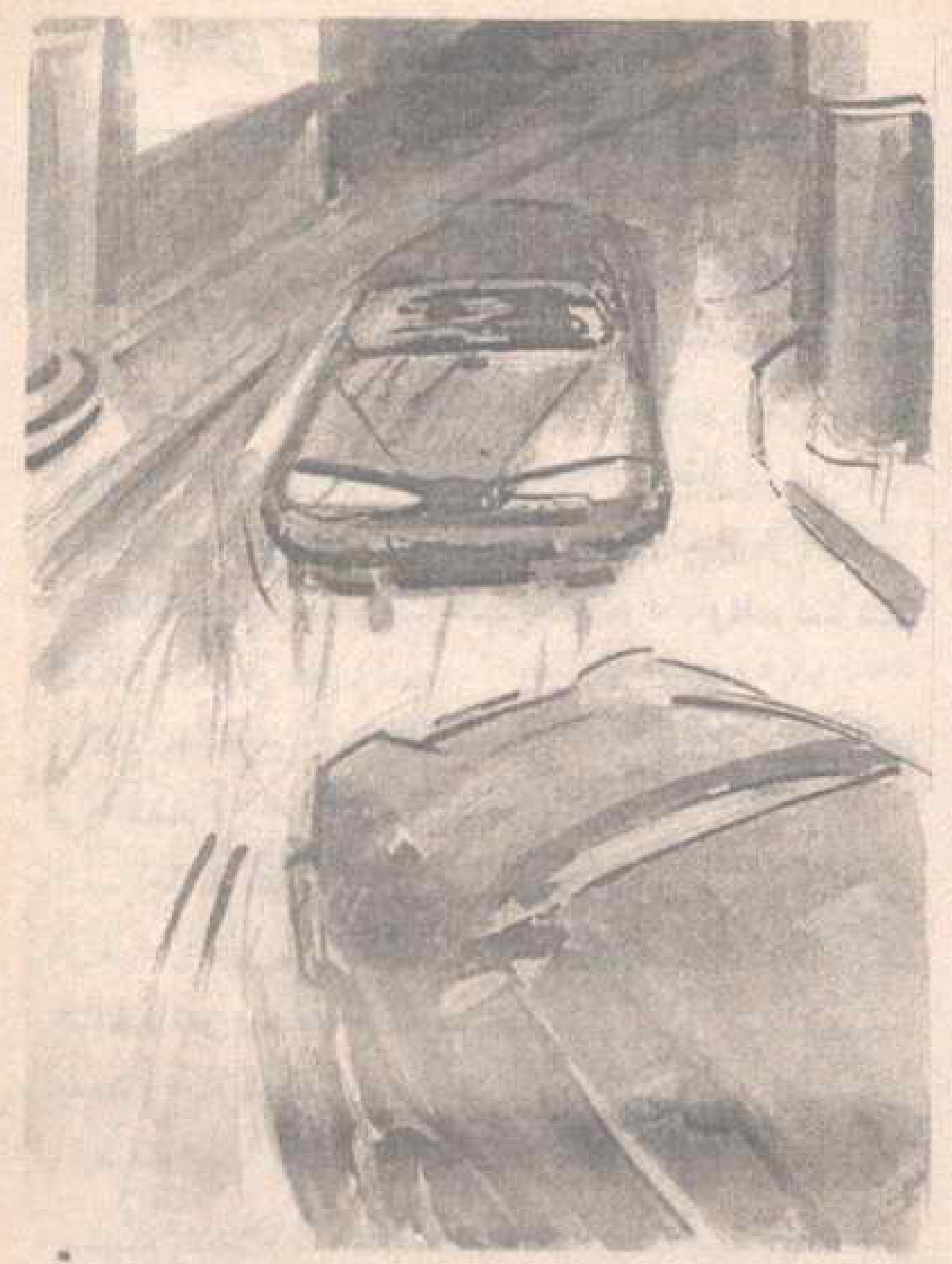
- رائع .. تمامًا مثلما يحدث فى أفلام السينما القديمة .

وفى هدوء عجيب ، تخطى جثة الحارس ، الغارقة فى بركة من الدماء ، وعبر حجرة الحراسة إلى المخرج الخلفى للمركز ، وسار فى خطوات واثقة ، حتى بلغ سيارة صغيرة ، على مسافة أمتار قليلة من المكان ، فاستقلها ، وانطلق بها مبتعدًا لدقائق ثلاث ، ثم لم يلبث أن أوقفها على جانب الطريق ، وغادرها فى بساطة ، وهو يضغط زرًا داخلها ، وابتعد عنها عدة أمتار ، ووقف يراقب الطريق فى اهتمام ، وهو يقول :

- هيا أيها المقدم (نور) .. لا تخيب أملى فيك .. المفترض أن تظهر سيارتك عند الناصية بعد قليل .

لاذ بالصمت لحظات ، وهو يواصل مراقبة الطريق فى اهتمام ، حتى ظهرت سيارة (نور) عند الناصية بالفعل ، وهى تنطلق نحو المركز ، فابتسم الدكتور (هاشم) فى سخرية ، وقال :

- عظيم .. استنتاجاتى كلها صحيحة .. هذا ما يثير



وفوجئ (نور) بالسيارة الصغيرة تنحرف بحركة حادة ، وتعترض طريقه فى عنف ..

إعجابى وثقتى بحق .. قالها ، وأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا ، ضغط أزراره ، فاشتعل محرك سيّارته الصغيرة ، قبل أن تنطلق بغتة نحو سيارة (نور) ..

وفوجىء (نور) بالسيارة الصغيرة تنحرف بحركة حادة ، وتعترض طريقه فى عنف ، وصرخ ، (أكرم) :

ـ يا إلهى !.. احترس يا (نور) .

وضغط (نور) فرامل سيارته بالفعل ..

ولكن السيارة الصغيرة كانت أقرب مما ينبغى ..

ولم يكن هناك مفرّ من الاصطدام ..

أبدًا .

★ ★ ★



٤ - ضربة الشر ..

« الرجل مجنون ولا شك .. »

نطق (رمزى) العبارة فى حزم ، لا يخلو من التوتر ، وهو يطالع تسجيل اتصال الدكتور (هاشم) للمرة الرابعة ، قبل أن يتراجع بمقعده ، ويشير إلى شاشة جهاز الكمبيوتر الصغير الخاص به ، مستطردًا :

- إنه لم يعد يستطيع التفرقة بين الخير والشر .. فكرة الانتقام استحوذت على تفكيره ، وطردت كل الأفكار الأخرى عن رأسه .

قالت (سلوى) ، وهى تعمل على جهاز الكمبيوتر فى اهتمام :

- ولكنه ما زال عبقريًا ، دون أدنى شك ، فعلى الرغم من خبراتى الطويلة فى علم الاتصالات ، ما زلت عاجزة عن تحديد أسلوب التشتيت الذى استخدمه ؛ ليضمن عدم نجاحنا فى تعقُّب محادثاته .

التفت إليها (رمزى) ، قائلاً :

- ابحثى عن الوسائل المباشرة ، فالعبقرية تكمن فى النجاح بأبسط الوسائل .

انعقد حاجباها ، وهى تغمغم :

- الوسائل المباشرة .. بدت عليها علامات التفكير العميق ، و (رمزى) يراجع الملف الخاص بالرجل ، قائلاً فى توتر أكثر .

- المشكلة أن الرجل يعمل منذ فترة طويلة ، فى إدارة البحث العلمى ، التابعة لجهاز المخابرات ، مما جعله على دراية كبيرة بأحدث البحوث والابتكارات التكنولوجية ، وعلى معرفة تامة بإجراءات الأمن والوقاية ، وعمله فى قسم بحوث الفيروسات بالذات ، جعله يعرف كيفية تعاملنا مع أى وباء غريب ، وهذا يجعل خطته منمقة دقيقة .. والأخطر أنه ، ككل العاملين فى المخابرات العلمية ، حصل على دورات أمنية ، ودراسات مكثفة حول التجسُّس ووسائل الإفلات من المطاردة ، ولو أضفنا كل هذا إلى عبقريته ، نجد أنفسنا أمام خصم بالغ الخطورة .

قالت (نشوى) فى حزم :

- ولكنه مجنون .

أجابها (رمزى) ، بعد تنهيدة عميقة :

- العبقرى المجنون هو أخطر خصم يمكنك مواجهته يا (نشوى) ، فعبقريته تجعل خطواته كلها دقيقة مدروسة ، وجنونه يجعل أفكاره ومبادئه غير واضحة ،

ويعمق فى كيانه انفعالات وردود أفعال خاصة ، لا يمكنك إدراكها قط ، فهو لا ينتقم فحسب ، ولكنه يجعل لهذا الانتقام شكلاً خاصًا ، وصورة ترتسم فى ذهنه وحده ، بحيث يعصب عليك فهمه أو التعامل معه ، ويبذل قصارى جهده لتحقيق هذا الشكل الخاص ، وتحويل الصورة إلى حقيقة ملموسة ، ولا يسمح لأى شىء فى الدنيا بالحيلولة بينه وبين هدفه ، وفى سبيل هذا ، فهو يفعل أى شىء يمكنك تصوره .. يضرب ، يسرق ، يقتل .. المهم أن يبلغ الهدف ، حتى ولو كان فى هذا الهدف نهايته شخصيًا .

تنهدت (نشوى) ، مغمغمة :

- يمكننى فهم هذا .

أما (سلوى) ، فقد رددت ، وهى تواصل عملها فى اهتمام متزايد :

- الأسلوب المباشر .. نعم .. ولمَ لا ؟!

انطلق من الكمبيوتر أزيز متصل ، جعلها تتراجع فى مقعدها ، هاتفة :

- ها هو ذا الحل .. لقد كنت على حق يا (رمزى) .. إنه يستخدم أسلوبًا مباشرًا بالفعل .

اتجه إليها ، يسألها فى لهفة :

- كيف ؟!

رفعت عينيها إلى سقف الحجرة ، وأشارت بسبابتها إلى أعلى ، مجيبة :

- بوساطة الأقمار الصناعية .

ارتفع حاجبا (نشوى) فى دهشة ، فى حين هتف (رمزى) :

- الأقمار الصناعية ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- نعم .. إنه يبدأ اتصاله من هنا ، عبر أى هاتف عام ، باستخدام كروت الهاتف الممغنطة ، ويطلب رقمًا تم إعداده مسبقًا ، فى مكان ما من العالم ، ويستقبل الهاتف هناك الاتصال ، ثم يبثه عبر الأقمار الصناعية إلى هاتف آخر هنا فى (مصر) ، ومنه إلينا ، وعندما نتعقب نحن الاتصال ، سيصل بنا الأمر إلى الهاتف الآخر ، وليس إلى ذلك الذى يبث إلينا الاتصال الرئيسى ، عبر الأقمار الصناعية .

هتفت (نشوى) مبهوتة :

- يا لها من فكرة عبقرية !

أجابتها أمها فى ضيق :

ـ عبقرية وبسيطة فى الوقت نفسه ، وتجعل أكثر عباقرة علم تتبُّع الاتصالات يقف عاجزًا ، أمام بث يمكن أن يأتيه من أى مكان فى العالم ، وعبر أى قمر من أقمار الاتصالات الصناعية .

سألها (رمزى) فى قلق :

ـ ألا توجد وسيلة لتعقب البث ، عبر الأقمار الصناعية نفسها ؟!

تنهدت فى أسى ، مجيبة :

ـ دون معرفة الدولة التى يتمّ منها الاتصال ، والقمر الذى تستخدمه ؟! كلاّ يا (رمزى) .. فى هذه الحالة لا توجد وسيلة لتعقُّب البث فى الوقت المناسب .. لا توجد أدنى وسيلة !

أجابته ، وصوتها يحمل مرارة الدنيا كلها ..

وكمية من اليأس ..

كمية هائلة ..

* * *

لم يكن هناك مفرّ من الاصطدام ..

صحيح أن سيارة (نور) الصاروخية مزوّدة بنظام إيقاف خاص ، يعتمد على إطلاق وسادة هوائية من قاعدتها ، تدور حولها السيارة ، فى حالات التوقُّف المفاجئ ، فى أثناء الانطلاق بسرعة كبيرة ..

ولكن حتى هذا الأسلوب لم يكن مجديًا ..

فالسيارة الصغيرة كانت قريبة للغاية ..

لذا ، فقد اصطدمتَ بها سيارة (نور) بالفعل ..

كانت الصدمة عنيفة ، فانطلقت الوسائد الهوائية من الإطار والتابلوه ، لتحمى جسدى (نور) و (أكرم) ، فى حين قفزت سيارة (نور) قفزة مخيفة ، وسبحت فى الهواء بضع لحظات كطائرة صغيرة ، قبل أن تسقط على مقدمتها ، وترتطم بالأرض فى عنف ، وتتقلب ثلاث مرات على الأقل ، ثم تستقر على سقفها ، مقلوبة رأسًا على عقب ..

واندفع بعض المارة نحو السيارة ، ولكن أحد رجال الأمن اعترض طريقهم ، صائحًا :

ـ لا تقتربوا .. ابتعدوا .. ابتعدوا بأقصى سرعة .. ربما تنفجر السيارة .

كانت هناك شعلة صغيرة فى اللهب ، تندلع بالفعل عند مؤخرة السيارة ، فانعقد حاجبا الدكتور (هاشم) ، وهو يراقب الموقف من بعيد ، وتمتم :

ـ كلاَّ .. لا ينبغى أن تنفجر الآن .. لم يحن الوقت بعد لإنهاء اللعبة .

وتألقت عيناه فى جذل ، عندما شاهد (نـور)
و(أكرم) يزحفان خارج السيارة ، وسمع الأخير يقول
فى غضب ، وهو يحمل مسدسه :

ـ أسرع يا (نور) .. أسرع بالله عليك .. تلك
اللعينة ستنفجر بالفعل .

وانطلق الاثنان يعدوان مبتعدين ، فهتف الدكتور
(هاشم) فى مكمنه :

ـ رائع .. هذا هو (نور) الذى أتوقّعه ..

ومع آخر حروف عبارته ، دوى الانفجار ..

انفجرت السيارة ، وانطلقت الصرخات من كل مكان
فى ذعر ، وطار جسد (نور) و (أكرم) لثلاثة أمتار ،
قبل أن يسقطا أرضًا ، ويتدحرجا فى عنف ..

وتحطّم بعض زجاج واجهة المركز التجارى ، مما
أثار المزيد من الرعب والفزع ، فتدافع روّاده أكثر
وأكثر ، وسقط بعضهم أرضًا ، وداسته الأقدام بلا
رحمة ، ولم يعد أحد يستمع إلى تعليمات رجال الأمن
وصيحاتهم .

بل أن رجال الأمن أنفسهم سقطوا تحت الأقدام
المذعورة ، ومات منهم من مات وأصيب من أصيب ،
فى حين هبّ (نور) واقفًا ، وهو يهتف :

ـ أسرع يا (أكرم) .. أسرع .

صاح به (أكرم) ، وهو يعدو خلفه :

ـ نسرع لماذا يا (نـور) ؟! القنبلة ستنفجر بعد
دقيقتين فحسب ، ومع هذا الهرج والمرج ، سيصاب
العشرات بالعدوى ، وسينطلقون وسط آلاف البشر ،
لينشروا الفيروس أكثر وأكثر .. اللعنة !.. إنه يستحق
بالفعل اسم (هشيم) .

صاح (نور) :

ـ أسرع يا رجل .. أد دورك ، واترك النتائج لله
(سبحانه وتعالى) وحده .

كان الوقت يمضى فى سرعة مخيفة ، والدخول إلى
المركز كان أشبه بالسباحة فى مواجهة موجة هائلة
عاتية ، ضد التيار ، حتى أن (نـور) و (أكرم)
اضطرّا للقفز فوق الجموع المتصارعة ، للدخول إلى
المكان ، وما أن أصبحا داخله ، حتى هتف (أكرم) ،
مشيرًا إلى ساعته :

ـ بقيت دقيقة واحدة يا (نور) .

انعقد حاجبا (نـور) بشدة ، ورفع ساعة يده إلى
فمه ، وضغط زرًا جانبيًا فيها ، وهو يهتف :

ـ هنا (نـور) .. الموقف سيئ للغاية فى مركز
(الهدف) للتجارة الدولية رجال الأمن عاجزون عن

السيطرة على الموقف .. أريد إغلاق كل الطوابق العليا ، وعزل المكان كله ، باستثناء الطابق الأرضى .. أكرر الموقف سيئ للغاية .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تلقت أجهزة الأمن فى المركز أمرًا اليكترونيًا ، من قيادة الأمن العام للعاصمة الجديدة ، وراحت ألواح من الصلب تهبط على النوافذ كلها فى سرعة ، لتعزل المركز عن خارجه ، وهتف (أكرم) :

- (نور) .. إنهم يغلقون الطابق الأرضى أيضًا .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يشاهد البقية الباقية من رواد المركز ، وقد أصابهم ذعر هائل ، عندما أغلقت نوافذ الطابق الأرضى بألواح الصلب نفسها ، ثم تبعتها الأبواب ، لتسحق كل من حاول عبورها ، وتسجن ما يقرب من أربعين شخصًا داخل المكان ، الذى تم عزله تمامًا ، وصرخ ، عبر جهاز الاتصال فى ساعته :

- لا تعزلوا المركز كله .. لو انفجرت القنبلة سيلقى من تبقوا هنا مصرعهم .

ولكنه لم يتلق جوابًا ، و (أكرم) يهتف :

- عشرون ثانية فحسب وتنفجر القنبلة الفيروسية يا (نور) .

أدار (نور) عينيه فى المكان فى توتر بالغ ، والرواد المسجونون داخل المركز يدقون أبوابه ونوافذه فى رعب هائل ، والثوانى تمضى بسرعة مخيفة ، و ....

وانفجرت القنينة الصغيرة ..

كان انفجارها ضعيفًا مكتومًا ، فى الطابق الخامس من المركز ، ولكن محتوياتها تناثرت على مساحة واسعة للغاية ، وهبطت على الجميع كرذاذ ضعيف ..

ولثانية أو ثانيتين ، ساد المكان صمت رهيب ، والكل يتطلعون إلى بعضهم فى ذهول ، قبل أن يقول (نور) فى مرارة :

- يا للعار !.. لقد انتصر الوغد فى هذه الجولة .

لم تمض دقيقة واحدة على قوله هذا ، حتى انطلقت صرخات الألم من المكان وتعالت على نحو مخيف ، حتى استحال المركز إلى منطقة رهيبة ، أغلق (نور) فيها أذنيه ، وراح يردد فى ألم ومرارة ، وهو الذى لا يبغض فى الدنيا كلها قدر الدمار والقتل والعنف :

- يا للوغد !!.. يا للوغد !!..

قالها ، والعذاب الذى يشعر به فى أعماقه يفوق عذاب الروّاد المساكين المحيطين بـه ، وذلك الفيروس الجهنمى ينفخ أكبادهم ، وينفخها ، وينفخها .

حتى تأتى لحظة النهاية ..

اللحظة التى تبدو فيها الأمور بشعة ..

بشعة إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

عقد وزير الدفاع كفيه خلف ظهره ، والتقى حاجباه فى صرامة ، وهو يواجه (نور) والدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ ثلاث وستون ضحية هذه المرة ، فاز بها الدكتور (هاشم) .. يؤسفنى أنه ربح هذه الجولة يا سادة .

أجابه (نور) فى غضب مكتوم :

ـ معذرة يا سيادة الوزير ، ولكننا نحن منحناه هذا الفوز .

التفت إليه الوزير ، قائلاً فى صرامة :

ـ ماذا تعنى أيها المقدم ؟

لم يستطع (نور) السيطرة على أعصابه الثائرة ، وهو يقول فى غضب :

ـ أعنى أن الفيروس (هشيم) قتل واحدًا وأربعين ضحية فحسب يا سيادة الوزير أما الاثنتان والعشرون الأخر ، فقد لقوا مصرعهم تحت حواجز الصلب ، التى هبطت على أبواب الطابق الأرضى ومخارجه دون إنذار مسبق ، ولو أنها تأخرت عشر ثوان فقط ، لنجا هؤلاء ، وربما نجا الآخرون أيضًا .

أجابه الوزير فى صرامة :

ـ وماذا لو تأخّر إغلاق المخارج لعشر ثوان ، ثم انفجرت القنبلة الفيروسية قبل موعدها أيها المقدّم ؟! وهذا ما حدث بالفعل .. ألم يكن هذا كفيلاً بانتشار مخيف للفيروس ، ومضاعفة أعداد المصابين ألفا مرة ؟!

قال (نور) فى حدة :

ـ القنبلة الفيروسية انفجرت قبل موعدها بعشر ثوان فحسب يا سيّدى الوزير ، ولكن الأبواب أغلقت قبل هذا بنصف دقيقة كاملة .

احتقن وجه الوزير ، وهو يصيح به :

ـ هل تنتقد القرارات السيادية أيها المقدّم ؟!

شعر الدكتور (ناظم) بالقلق ، من تطوّر المناقشة على هذا النحو ، خاصة وقد بدا الغضب على وجه

(نور) وظهر واضحًا فى صوته ولهجته ، وهو يجيب :

- إغلاق الأبواب فى وجه الناس ليس قرارًا سياديًا يا سيادة الوزير .. إنه قرار فردى ، أدى إلى مصرع عشرات الأبرياء دون طائل .

صرخ الوزير فى ثورة :

- ليس هذا من شأنك أيها المقدَّم .. مهمتك تقتصر على البحث عن ذلك المجنون ، ومنعه من تنفيذ مخططه الجنونى ، أما مهمتنا فهى تأمين المجتمع من شروره .

قال (نور) فى غضب مماثل :

- ولكن تصرفًا خاطئًا واحدًا يمنحه من الانتصارات ، ما يعجز هو نفسه عن تحقيقه يا سيادة وزير الدفاع .

أدرك الدكتور (ناظم) أن الأمور قد تجاوزت حدودها بشدة هذه المرة ، فهبَّ واقفًا ، ليحول بين الرجلين ، وهو يقول :

- ليست هذه هى المشكلة الرئيسية الآن أيها السادة .. المهم هو أننا تأكدنا من أن الدكتور (هاشم) لن يجلس ساكنًا ، طوال الأربع والعشرين ساعة ، التى منحنا إياها كمهلة ، وأنه سيواصل ضرباته العشوائية ، حتى

يثير فزعنا ، ويدفعنا إلى الإسراع بتنفيذ مطلبه الأول ؛ لينتقل إلى المطلب الثانى .

قال الوزير فى عصبية :

- لو أن هذا المقدَّم وفريقه هما وسيلتنا الوحيدة ، لمنعه من تحقيق هذا ، فأقترح أن ندخر الوقت ، ونحوِّل المبلغ الذى طلبه إلى ذلك الحساب فى (سويسرا) .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- أتفق معك تمامًا يا سيادة الوزير ، لو أن القرارات ستصدر كلها على هذا النحو الانفعالى .

احتقن وجه الوزير ثانية ، وهمَّ بقول شىء ما ، لولا أن تدخَّل الدكتور (ناظم) فى سرعة ، قائلًا :

- لو أننا منحناه المبلغ قبل انتهاء المدة ، فسيطلب مبلغًا إضافيًا ، أو مطلبًا أكثر صعوبة ؛ ليثبت قوته وسطوته .

سألَه الوزير فى حدة :

- وماذا بيدك لتفعله ؟!

أجابه بسرعة :

- نواصل بحثنا عنه على الأقل .. لقد أحطنا مركز (الهدف) التجارى كله بخيمة الحجر الصحى ،

وحاصرنا الفيروس داخلها ، ومنعنا انتشاره خارجه ، وخبراؤنا يراجعون الآن كل اسطوانات الفيديو المسجّلة (*) عبر أجهزة المراقبة ، فى كل مكان بالمركز ، للنصف ساعة الأخيرة ، قبل انفجار القنبلة الفيروسية مباشرة ، وربما يتوصّلون بهذا إلى شىء ما .

قال (نور) فى حزم :

- معذرة يا دكتور (ناظم) ، أنا أثق تمامًا فى خبراء الإدارة ، ولكننى كنت أفضّل أن يراجع فريقى تلك الأسطوانات بنفسه .

سأله الدكتور (ناظم) فى دهشة :

- ولماذا ؟!

أجابه (نور) :

- لأننا نعتقد أن لنا أسلوبًا خاصًا فى المراجعة ، يجعلنا نرى فى وضوح مالا ينتبه إليه الآخرون فى المعتاد .

(*) تنتج شركة (سونى) (Sony) اليابانية للإليكترونيات ، فى الوقت الحالى آلات مراقبة ، يمكنها تسجيل كل الأحداث على أسطوانات مدمجة ، يبلغ قطرها نصف قطر الأسطوانات المدمجة الحالية ، وتحوى ضعف ذاكرتها .

مطّ الوزير شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

- يا للغرور !

التفت إليه (نور) فى حركة حادة ، وقال فى صرامة :

- قل لى يا سيادة الوزير : هل المفترض أننا نعمل فى جبهة واحدة ، أم أننا فريقان متعارضان ؟!

أجابه الوزير فى صرامة :

- لا هذا ولا ذاك أيها المقدّم .. المفترض أنك كمقدم ، تعمل تحت إمرتى .

ارتسمت ابتسامة ساخرة مستفزة على ركن شفتى (نور) ، وهو يقول :

- معذرة يا سيادة الوزير ، ولكن دعنى أذكرك أن إدارة المخابرات العلمية لا تتبع وزارة الدفاع ، أو أية وزارة أخرى ، ولكنها تتبع السيّد رئيس الجمهورية شخصيًا(*) ، وهذا يعنى أنه من المستحيل — قانونًا — أن أعمل تحت إمرتك .

احتقن وجه الوزير ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

(*) فى عصرنا هذا ، ينطبق الأمر تمامًا على جهاز المخابرات العامة ، إذ إنه يتبع رئيس الجمهورية شخصيًا ، ومديره يعيّن على درجة وزير ، ولا يخضع لأوامر أية وزارة أخرى .

- سنرى أيها المقدَّم .. سنرى .. وحتى ذلك الحين ، أنصحك أن تبذل قصارى جهدك لإلقاء القبض على الدكتور (هاشم) هذا ، ومنعه فى تنفيذ خطته وإلا فسيكون مصيرك مؤسفًا .. مؤسفًا بحق .

قالها ، واندفع يغادر المكان فى حنق ، فهتف الدكتور (ناظم) ، وهو يضرب راحته بجبهته فى حدة :

- ماذا دهاك يا (نور) ؟! إنك تتحدّى وزير الدفاع شخصيًا .

لم يجب (نور) على عبارة (ناظم) ، أو يحاول حتى التعليق عليها ، فقد استقرّت فى ذهنه فكرة محدودة ، أثارت مشاعره كلها ، وأشعلت فى أعماقه نيرانًا يصعب إخمادها .

نيران القلق ..

والشك ..

* * *

تبادل (نور) ورفاقه ما لديهم من معلومات ، فى مقر الفريق ، فى مبنى المخابرات العلمية ، واستمع (نور) إلى زوجته وابنته فى اهتمام ، وهما يصفان رحلة بحثهما عن وسيلة الاتصال المعقّدة ، التى يستخدمها الدكتور (هاشم) ، ثم سأل زوجته فى اهتمام :

- ألا يمكنك تتبُّع الإشارة عبر الأقمار الصناعية ؟

أجابته بسرعة :

- من الناحية النظرية فحسب يا (نور) ، أما من الناحية العملية فهذا شبه مستحيل ، إذ إن الفضاء يكتظ بأقمار الاتصالات الصناعية ، فى الوقت الحالى ، ولابد لى من فحص أكثر من ستين قمرًا فى آن واحد ، لمعرفة القمر الذى يستخدمه لنقل البث ، من موقع هاتف الاتصال الخارجى ، إلى الهاتف الداخلى .

التفت (نور) إلى ابنته ، وسألها :

- وماذا عن قدرات الكمبيوتر فى هذا الشأن ؟!

هزّت كتفها ، قائلة :

- هذا ممكن أيضًا من الناحية النظرية يا أبى ، فالكمبيوتر لن يعجز عن تعقُّب تحركات الأقمار الصناعية الستين فى آن واحد ، ولكن نظرًا للكم الهائل من الاتصالات ، الذى يتمّ فى كل لحظة ، عبر هذه الأقمار الصناعية ، والذى قد يبلغ عشرين مليون اتصال فى الثانية الواحدة(*) ، فإن تحديد الاتصال

(*) الرقم يعدّ مبالغًا بشدة ، لو تم قياسه بمقاييس العصر الحالى ، ولكن خبراء الاتصالات يتوقعون أن يبلغ هذا الرقم بالفعل ، خلال السنوات الأولى من القرن الحادى والعشرين ، مع تطوُّر وسائل الاتصالات وانتشارها .

المطلوب يحتاج من الكمبيوتر لبعض الوقت ، الذى سيتجاوز المهلة المطلوبة حتمًا .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى حذر :

ـ ما لم .

نطقت الكلمة ، وعادت تلوذ بالصمت ، فسألها (أكرم) فى لهفة واهتمام :

ـ ما لم ماذا ؟!

رفعت عينيها إليه ، قائلة :

ـ ما لم يمكننا تحديد القمر المطلوب بالضبط ؟

التقى حاجبا (نور) ، وهو يسألها :

ـ أتعتقدين أن هذا يصنع فارقًا كبيرًا ؟!

أشارت بيدها ، مجيبة :

ـ للغاية .. يكفى أننا سنراقب اتصالات قمر صناعى واحد .

اعتدل (نور) ، يسألها فى اهتمام :

ـ وكيف يمكن تحديد القمر المطلوب ؟!

أجابته (سلوى) :

ـ بتحديد المدينة التى يتم فيها نقل الاتصال ، إلى القمر الصناعى ، فكل دولة تستخدم قمرًا خاصًا للاتصالات ، وتحديد الدولة يقودنا فى سهولة إلى القمر الخاص بها .

تنهّد (رمزى) ، قائلاً :

ـ المشكلة أن الدكتور (هاشم) يمكنه وضع هاتف البث هذا فى أية دولة خارج (مصر) .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ ليس أية دولة .. الدول التى قام بزيارتها فحسب ، فهاتف البث لن يعمل وحده ، بل لابد من إعداده بصفة خاصة ، يستقبل أية محادثة هاتفية من (مصر) ، وإعادة بثّها عبر القمر الصناعى ، باستخدام كود خاص ، يتم إرسالها عبر هاتف الفيديو من هنا ، وهذا يحتاج إلى وجود المعدّ مع الهاتف لفترة ما ، وأيضًا إلى وجود الهاتف فى مكان خاص ، بحيث لا يفسد أحد توصيلاته ، أو برنامجه الخاص .

وانعقد حاجباه فى تفكير عميق ، وهو يتابع :

ـ وهذا يقودنا بالتالى إلى أنه من المحتم أن الدكتور (هاشم) قد استأجر مكانًا ما ، فى تلك الدولة ، ليضمن نجاح خطته .. السؤال هنا إذن هو : ما تلك الدولة بالضبط ؟

ثم التفت إلى ابنته ، قائلاً :

ـ حاولى باستخدم الشفرة الخاصة دخول كمبيوتر

ملفات الأمن .. أريد معرفة الدول التى سافر الدكتور (هاشم) إليها ، خلال العامين الماضيين .

جرت أصابع (نشوى) فى سرعة على أزرار الكمبيوتر ، وراحت المعلومات تتراص أمامها على شاشته ، قبل أن تقول :

- الدكتور (هاشم) لم يسافر سوى لدولتين ، خلال العامين الماضيين .. مرة إلى (لندن) ؛ لحضور المؤتمر العالمى لخبراء الفيروسات ، والمرة الثانية إلى (طوكيو) ؛ للتعاقد على شراء بعض الأدوات الخاصة ببحوث الفيروسات .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- عظيم .. هو يعنى أننا نستطيع تركيز البحث على القمرين الخاصين بـ (انجلترا) و (اليابان) فحسب .

انعقد حاجبا (رمزى) ، دون أن يعلّق على قول (نور) ، فى حين قالت (سلوى) فى حماس :

- رائع يا (نور) .. رائع .. تفكيرك منظّم وعبقرى كالمعتاد .

وأضافت (نشوى) :

- بقى أن يقوم الدكتور (هاشم) بإجراء اتصاله التالى بنا ، حتى نتعقّبه مباشرة .

غمغم (أكرم) ، وهو يعدّ مسدسه فى حزم :

- فلنتعشم أن يتمّ هذا بسرعة .. لست أطيق الانتظار

ألقى (نور) نظرة على ساعة يده ، وقال :

- اطمئن .. لن يطول بنا الانتظار .. لقد مضت ست ساعات من المهلة ، وهو يحتاج إلى نشاط مستمر طوال الوقت .

لم تمضى دقيقة واحدة على حديث (نور) هذا ، حتى ارتفع رنين هاتف الفيديو ، فاستدار إليه الجميع فى انفعال ، وقفزت (سلوى) إلى كمبيوتر الاتصالات الخاص بها ، وهى تقول :

- ثلاثون ثانية يا(نور) .. أحتاج إلى ثلاثين ثانية من حديثكما على الأقل .

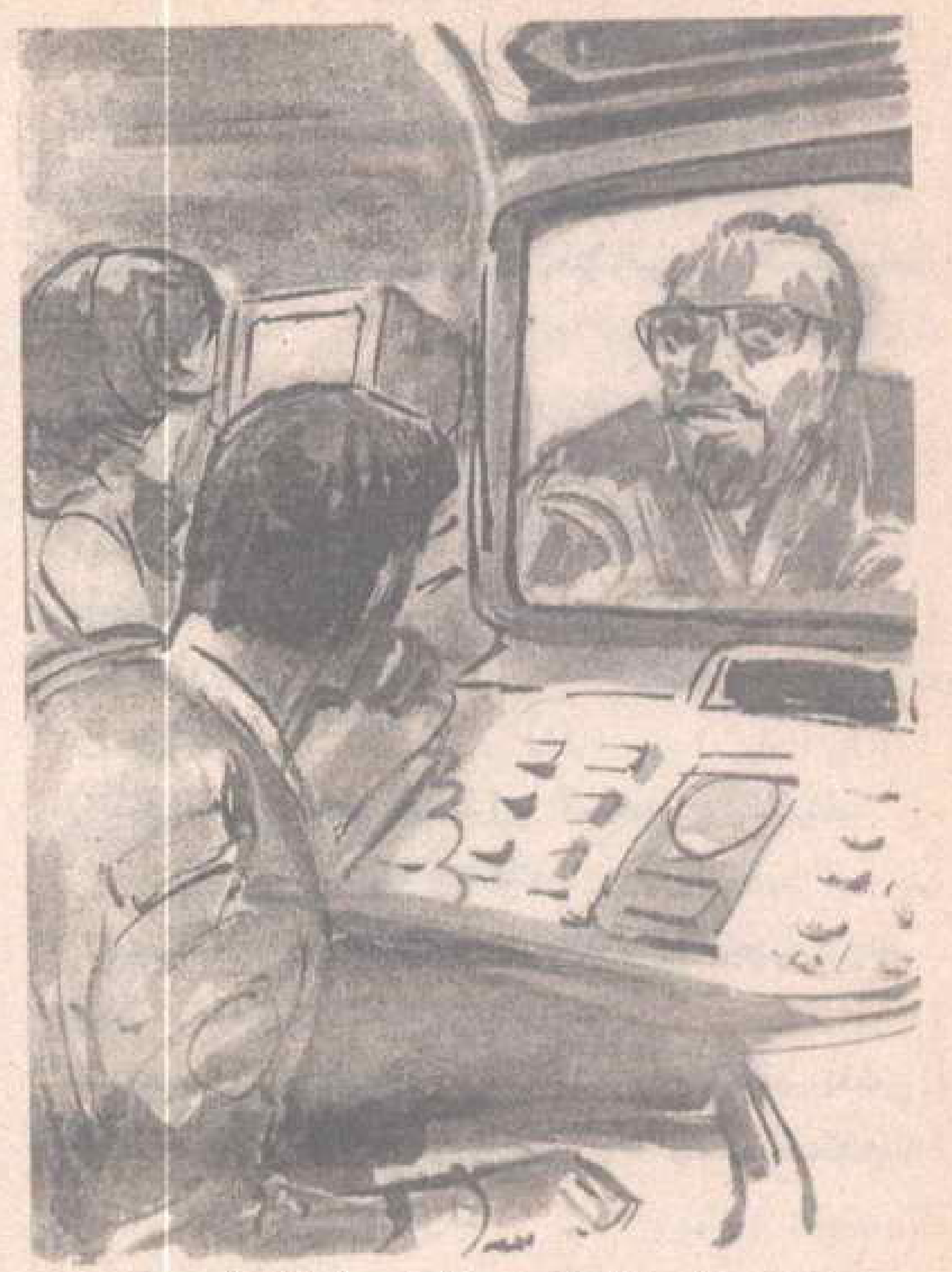
أشار إليها ، وهو يضغط زر الاستماع ، قائلا :

- اطمئنى .. إنه يهوى الكلام .

ظهرت على الشاشة صورة الدكتور (هاشم) ، وهو يبتسم فى سخرية ظافرة ، ويقول :

- جميل أن أراك مرة ثانية أيها المقدّم .. كنت أخشى أن تلقى مصرعك فى انقلاب السيارة ، فتفسد المتعة ، قبل أن تبلغ ذروتها المتوقّعة .

أجابه (نور) فى سخرية مماثلة :



ظهرت على الشاشة صورة الدكتور (هاشم) ، وهو يبتسم فى سخرية ظافرة ..

- لا تقلق أيها الوغد .. لدى شعور أن الله (سبحانه وتعالى) سيطيل فى عمرى ، حتى ألقى بك خلف القضبان .

قهقه الرجل ضاحكًا ، على نحو أكد جنونه ، وهو يقول :

- كم تروق لى ثقتك الزائدة هذه أيها المقدّم ، قل لى : ألا تخشى أن ينقلب هذا إلى غرور ؟!

أجابه (نور) ساخرًا :

- وماذا عن انتصاراتك الوهمية ؟! ألا تخشى أن تتحوّل بغتة إلى هزائم ؟!

قهقه الدكتور (هاشم) ضاحكًا مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- اطمئن أيها المقدّم .. لن يحدث هذا قط .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال فى صرامة :

- من يدرى ؟!

كان من الواضح أن الحديث عن الانتصارات والهزائم لا يروق للدكتور (هاشم) ، فقد مطّ شفتيه ، قائلاً :

ـ دعك من هذه السفسطة أيها المقدّم ، فالثوانى الثلاثون ، التى تحتاج إليها زوجتك ، لتحديد مصدر اتصالاتى ، ستنتهى الآن ، وستصاب هى بخيبة أمل كالمعتاد ، وهذا يؤسفنى بالطبع ، ولكن ماذا أفعل ؟ إننى عبقرى ، ولن يمكنكم هزيمتى قط .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ كم سيروق لى رؤية وجه هذا الوغد ، عندما تتعقبان اتصاله عبر القمر الصناعى ، وتتوصلان إلى موقعه .

أطلّ توتّر بالغ من صوت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ يبدو أن هذا لن يحدث ابدًا يا (أكرم) .

هتف منزعجًا :

ـ ماذا تعنين .. ألم تؤكّدى من قبل أن ..

قاطعته فى عصبية :

ـ الاتصال لا يتمّ عبر القمر الانجليزى أو اليابانى .

ارتفع حاجبا (رمزى) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟! هل خدعنا بهذا أيضًا ؟!

قهقه (هاشم) ضاحكًا على الشاشة ، قبل أن يقول :

ـ هل ذقتم طعم الهزيمة الثانية ؟! تقبّلوا أسفى أيها السادة .. عبقريتكم لن تصمد أبدًا أمام عبقريتى .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ يا للوغد !

ولكن الدكتور (هاشم) اقترب بوجهه من الشاشة ثانية ، وقال :

ـ والآن ، دعونا لا نضع المزيد من الوقت .. ألا ترغبون فى معرفة هدفى التالى ؟!

صاح (أكرم) فى غيظ :

ـ أتعشّم أن يكون الهدف التالى هو رأسك الغبى .

أشار إليه (نور) فى صرامة أن يكتم مشاعره ، ولكن الدكتور (هاشم) قهقه ضاحكًا فى سخرية ، وقال :

ـ كان يمكننى أن أغضب منك يا سيّد (أكرم) ، ولكن كيف يمكن للمرء أن يغضب ، وهو يتنسّم هواء شريان الحياة ..

ثم عاد يقترب من الشاشة ، مضيفًا :

ـ لذا فسأعفو عنك .. سأعفو عنك كما يعفو الأمراء عن أسراهم .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

ـ والآن إلى اللقاء .. تذكّروا أن قنبلتى الفيروسية الثانية ستنفجر خلال ربع الساعة فحسب .

هتف به (نور) :

- ولكنك لم تخبرنا أين هدفك التالى .

ابتسم الدكتور (هاشم) فى سخرية ، قائلاً :

- بل لقد أخبرتكم أيها العبقرى .

وراحت صورته تتلاشى من الشاشة تدريجيًا ، وهو يطلق ضحكة ساخرة شامتة مجلجلة ..

ضحكة أشبه بضربة قوية مؤلمة ..

ضربة الشر .

* * *



٥ - الخطوة الثانية ..

ارتسم مزيج من الدهشة والحيرة والقلق ، على وجه رئيس الجمهورية ، وهو يتطلّع إلى وزير الدفاع فى صمت لبعض الوقت ، قبل أن يقول في حذر :

- عجبًا ! هل تحاول إقناعى حقًا بإقصاء المقدّم (نور) من العملية ، بعد أقل من سبع ساعات ، من إسنادها إليه رسميًا ؟!

أجابه الوزير فى حزم :

- ليس المقدّم (نور) بالتحديد يا سيادة الرئيس .. إننى أطالب بإقصاء المخابرات العلمية كلها من العملية ، وإسنادها رسميًا لوزارة الدفاع .

سأله الرئيس فى دهشة :

- ولكن لماذا ؟!

أجابه الوزير فى سرعة ، على نحو يشفّ عن توقّعه للسؤال ، وانتظاره له :

- لعدة أسباب يا سيّدى الرئيس .. أوّلها أنهم فشلوا فى منع ذلك الرجل من تنفيذ ضربته الثانية ، التى كادت تؤدى إلى نشر الفيروس الرهيب فى مساحة واسعة

مخيفة ، وثانيها : أن الأمر ليس مجرَّد جريمة غير تقليدية ، أو تجسُّس علمى ، يحتاج إلى تدخُّل المخابرات العلمية ، وإنما هو اتجاه إرهابى ، بكل ما تحمله الكلمة من مقاييس .. شخص يهدِّد أمن الوطن ، ويحتاج إلى من يتصدَّى له ، بغض النظر عن السلاح الذى يستخدمه .. وأعتقد أنه من الناحية القانونية ، نحن المسئولون عن مكافحة الإرهاب ، طبقًا لتعديلات القوانين ، فى عام ألفين واثنين .

استمع إليه رئيس الجمهورية فى اهتمام ، ثم قال :

- ربما كان الرجل إرهابيًا بالفعل ، ولكن سلاحه غير التقليدى هذا يجعل من غير المجدى أن نواجهه بقوة عسكرية ضاربة .. إنه يستطيع بقنينة صغيرة ، إبادة الحياة البشرية فى دائرة واسعة للغاية ، لذا فهو يحتاج إلى أشخاص غير تقليديين لمواجهته ، وهذا يتوافر فى (نور) وفريقه .

انعقد حاجبا وزير الدفاع فى شدة ، وهو يقول :

- إنهم فاشلون .. مجرَّد مجموعة من الفاشلين .. لست أدرى لماذا تولونهم كل هذه الثقة فى الواقع يا سيادة الرئيس .

أجابه الرئيس فى صرامة :

- لأنهم أثبتوا استحقاقهم لهذه الثقة عشرات المرات أيها الوزير ، وأنقذوا العالم بالفعل أكثر من مرة ، وربما تدين أنت نفسك لهم بالفضل ، فى حصولك على منصبك هذا .

هتف الوزير فى استنكار :

- أنا ؟!

- أجابه رئيس الجمهورية :

- نعم .. أنت يا وزير الدفاع .. هل نسيت ما الذى كان عليه العالم ، بعد فترة الاحتلال(*) ؟! ماذا كان يمكن أن يحدث ، لو لم يهب (نور) ورفاقه أنفسهم لإنقاذ الأرض ، وإعادة سكانها إلى ما كانوا عليه من العقل والحضارة ؟! أكنا سنصبح على ما نحن عليه الآن ، ويكون هناك رؤساء ووزراء ، أم أنك كنت ستصبح زعيمًا لطغمة من آكلى لحوم البشر على أفضل تقدير ؟!

احتقن وجه الوزير ، وهو يقول :

- لست أدين بوجودى ومنصبى لأحد يا سيادة الرئيس .. لقد حصلت عليه بجدى وكدى وكفاحى وتفوقى وحدهم .

(*) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

قال الرئيس فى حدة :

ـ حقًا ؟!

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى صرامة :

ـ وكيف ستفقد كل هذا فى رأيك ؟!

أدرك الوزير ما يعنيه الرئيس ، فانتفض جسده فى عنف ، وهو يقول :

ـ سيّدى الرئيس .. إننى ..

قاطعه الرئيس بإشارة صارمة من يده ، وقال فى حزم :

ـ اسمع أيها الوزير .. أنا احترم كفاحك وتفوّقك ، وأحترم أيضًا كفاح الآخرين وتفوّقهم .. دع (نور) وفريقه يعملون أيها الوزير .. امنحهم فرصتهم ، ولا تنظر إلى أمن الوطن وسلامته بمنظور شخصى .. دعهم يعملون .. هل تفهم كلماتى ؟!

احتقن وجه الوزير ، كما لم يحتقن من قبل ، وهو يجيب :

ـ افهم يا سيادة الرئيس .. أفهم .

ثم شدّ قامته ، مستطردًا بصوت مختنق :

ـ هل تسمح لى فخامتكم بالانصراف ؟

أشار إليه الرئيس ، قائلًا :

ـ بلا شك .. يمكنك الانصراف أيها الوزير .

غادر الوزير مكتب رئيس الجمهورية ، والغضب يكاد يعصف بنفسه ، لفشله فى إقصاء (نور) وفريقه عن العملية ، وعندما انطلقت به سيارته ، مبتعدة عن القصر الجمهورى ، كانت هناك خطة تتكوّن فى ذهنه ، للانتقام من (نور) ..

خطة شريرة ..

للغاية ..

★ ★ ★

بدا (أكرم) عصبيًا للغاية ، وهو يدور فى حجرة الفريق كالليث الحبيس ، ويلوّح بيده ، قائلًا :

ـ ذلك الوغد سيفجّر قنبلته الفيروسية الثانية بعد دقائق معدودة ، ونحن عاجزون عن التوصّل إليه ، أو منع انفجارها .. يا للعار ، ما فائدتنا إذن ؟! ما الذى نفعله من أجل البشرية ؟!

قال (رمزى) فى توتر :

ـ إنه يقول إنه أخبرنا بمكان ضربته القادمة ، ولكنه لم يقل شيئًا فى الواقع .

قالت (نشوى) :

ـ ربما كانت محاولة لإضاعة الوقت .

أجابها (نور) فى حزم :

- كلا .. إنه يرغب فعليًا فى أن يكشف لنا موقع الضربة الثانية .. هذا يمنحه شعورًا بالمتعة لا حد له .. هكذا تدور اللعبة فى رأيه .

قالت (سلوى) فى عصبية :

- أية لعبة ؟! لعبة القط والفأر ؟

أشار إليها (نور) ، قائلاً :

- بالضبط .. لعبة القط والفأر .. إنه يستمتع بإثارة فزعنا وقلقنا ، وبلهاثنا للحاق به ، ولكنه لن يفسد اللعبة أبدًا ، ولن يقودنا إلى هدف زائف ، أو يخفى هدفه عنا .. اللعبة تفقد متعتها عندئذ فى نظره .. لقد قادنا إلى المكان بلغز ما .. تعالوا نعد بث المحادثة ، وربما نتوصل إلى ما يقصده .. ربما يقودنا مشهد خلفى ، أو عبارةٌ نطقها ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فتعلقت به عيون الجميع ، وسألته زوجته فى لهفة :

- (نور) هل توصلت إلى شىء ما ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً فى اهتمام بالغ :

- ترى ما الذى كان يقصده بقوله : إنه يتنسم هواء شريان الحياة ؟! أى شريان حياة يعنى ؟

قال (أكرم) فى حذر :

- ربما يتحدث من بنك الدم !

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

- إنه لم يذكر سائل الحياة ، وإنما شريان الحياة .. ثم إنه شريان يمكن أن يتنسم عنده المرء هواءً منعشًا .. هل تعلمون ما الذى أطلق عليه القدامى اسم شريان الحياة فى (مصر) يا رفاق ؟!

هتف (رمزى) فى حماس :

- نهر النيل(*) .

أجابه (نور) بسرعة :

- بالضبط .. ذلك الوغد تحدث إلينا من مكان ما ، عند نهر النيل .

قالت (سلوى) فى حماس :

(*) نهر النيل : نهر شمال شرق (إفريقيا) ، من أطول أنهار العالم ، تبلغ مساحة حوضه حوالى ٢,٩ مليون كم٢ ، فى أراضى (تنزانيا) ، و (كينيا) ، و (أوغندا) ، و (الكنغو) ، و (السودان) ، و (أثيوبيا) ، و (مصر) ، وله مجموعتان من المنابع ، بحيرات الهضبة الاستوائية (فكتوريا) ، و (ألبرت) ، و(إدوارد) ، أو مياه هضبة (أثيوبيا) ، وتلتقى مياه المنبعين عند (الخرطوم) ، تحمل الأولى (النيل الأبيض) ، و الأخرى النيل الأزرق ، وتتفرع منهما روافد عديدة ، ويواصل النهر مساره شمالا ، حتى يصب فى البحر الأبيض المتوسط .

- هذاصحيح ، ولكن فى أى مكان من النيل هو .

أجابها (نور) ، وهو يفكر فى عمق :

- فى مكان له صلة ما بالأمراء .. لقد قال : إنه سيعفو عن (أكرم) ، كما يفعل الأمراء ؛ وهو يقصد شيئًا ما حتمًا .

قال (أكرم) فى حماس :

- ربما سافر إلى (الأقصر) ، حيث وادى الملوك(*) ووادى الملكات(**) هذا له صلة بالأمراء .. أليس كذلك ؟!

(*) وادى الملوك : جبانة بطيبة الغربية ، دُفِنَ فيها ملوك وأمراء الدولة الحديثة ، بدءًا من (تحتمس الأوّل) ، وحتى (رمسيس الحادى عشر) ، نهبت كنوزها فى العصور القديمة ، باستثناء مقبرة (توت عنخ آمون) ، ومقبرة (يويا) و (تويا) ، والدى (تى) ، ومن أجمل مقابرها مقبرة (امنحوتب الثانى) ، ومقبرة (سيتى الأوّل) ، التى امتلأت جدرانها بنقوش عديدة ، أهمها أبواب من كتاب الموتى .

(**) وادى الملكات : الطرف الجنوبى من جبانة طيبة ، نحتت فيه قبور الملكات والأميرات ، وبعض أمراء الدولة الحديثة ، وأجملها قبر الملكة (نفرتارى) ، زوجة (رمسيس الثانى) ، وقبر (ساث رع) ، والدة (سيتى الأوّل) ، وقبر (خبشف) ، وكلها تحوى رسومًا ملوّنة ، غاية فى الإبداع وجمال الألوان ، ولقد أصبح الوادى جبانة ملكية فى الاسرتين ١٧ و ١٩ .

قال (رمزى) بسرعة وحزم :

- كلا .. لن يغادر (القاهرة) .. إنه مصاب بعقدة العظمة ، وسيظلّ قريبًا من مركز الأحداث ؛ ليتابع كل شىء بنفسه .

التفت (نور) إلى ابنته (نشوى) ، قائلاً :

- فليكن .. هذا دورك الآن .. ابحثى لنا عن شىء يتعلّق بالنيل والأمراء معًا ، داخل حدود (القاهرة) الجديدة .. مطعم .. فندق .. أو حتى أحد الأحياء الجديدة .

ضربت (نشوى) أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، فى حين نظر (نور) إلى ساعته فى قلق ، وعقاربها تشير إلى أنه لم يعد سوى دقائق تسع على موعد انفجار القنبلة الفيروسية الثانية ، و ...

« أميرة النيل .. »

هتفت (نشوى) بالاسم فى لهفة ، قبل أن تكمل فى انفعال :

- إنها سفينة سياحية ، تقام عليها سهرات وحفلات ترفيهية ، فى أثناء مسيرها فى النيل .. أراهن على أنها الهدف الثانى .

تحرك (أكرم) فى سرعة ، واستلّ مسدسه من حزامه ، وهو يقول فى حماس :

- ماذا تنتظر يا (نور) ؟ أسرع بنا إلى هناك .. دعنا نلحق بذلك الوغد ، قبل أن يضرب ضربته الثانية .

أسرع (نور) خلفه إلى الخارج ، وهو يقول :

- لابد من تحذير رواد السفينة أولاً .

هتف به (أكرم) ، وهو يقفز داخل سيارته :

- لا .. لاتفعل بالله عليك .. لا نريد تكرار الكارثة السابقة :

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يقفز إلى المقعد المجاور لمقعد القيادة :

- الاتصال بالسفينة أمر حتمى .. لابد لنا من معرفة آخر موقع لها على الأقل .

انطلق (أكرم) بالسيارة ، مغمغمًا فى سخط :

- أخشى أنك ستفسد الأمور باتصالك هذا يا (نور) .

تجاهل (نور) سخطه ، وهو يبحث فى أرشيف ساعته عن موجة الاتصال الخاصة بالسفينة (أميرة النيل) ، ولم يكد يتوصل إليه ، حتى ضبط الموجة ، وأدنى ساعته من شفتيه ، قائلاً :

- من المقدّم (نور) إلى السفينة (أميرة النيل) .. هذه حالة طارئة أوقفوا المحركات ، وألقوا الهلب ، وحدّدوا موقعكم الحالى .. أكرّر ..

كررّ النداء أكثر من أربع مرات ، ولكنه لم يتلق جوابًا ..

وكان هذا يعنى أن السفينة تواجه خطرًا رهيبًا ..

أو أنها قد واجهته بالفعل ..

وبلا رحمة ..

★ ★ ★

أطلق الدكتور (هاشم) من بين شفتيه صفيرًا منغومًا ، وهو يصفف شعره فى عناية ، داخل حجرة الاتصالات اللاسلكية ، فى السفينة (أميرة النيل) ، وتطلّع بضع لحظات إلى وجهه فى المرآة ، قبل أن يغمغم فى زهو :

- يا لوسامتك !

وفى هدوء عجيب ، ألقى نظرة على ضابط اللاسلكى ومساعده ، اللذين رقدا على أرضية الحجرة جثتين هامدتين ، قبل أن يغادر المكان ، ويغلق بابه خلفه فى إحكام ، قائلاً :

ـ يا للخسارة ! لم أكن أتصوَّر أنك ستتأخَّر فى الوصول إلى هنا إلى هذا الحد أيها المقدَّم (نور) ! ماذا دهاك ؟! هل انخفض مستوى ذكائك ؟!

هزَّ كتفيه فى لا مبالاة ، وصعد إلى سطح السفينة ، واتجه مباشرة إلى أحد قوارب النجاة ، وضغط زر إسقاطه ، فهبط الزورق إلى الماء ، وراح هو يهبط إليه فى هدوء ، فاندفع نحوه أحد البحارة ، هاتفًا :

ـ ماذا تفعل يا سيِّدى ؟! الهبوط بزورق نجاة محظور ، إلا بعد الـ ....

قاطعه الدكتور (هاشم) بطلقة ليزر من مسدسه ، نسفت رأس البحار ، فتراجع جسده كله فى عنف ، قبل أن يسقط على وجهه جثة هامدة على السطح ..

ودون أن يبالى بإلقاء نظرة واحدة على ما فعله ، أدار الدكتور (هاشم) محرك زورق النجاة البخارى ، وانطلق به مبتعدًا ، وهو يتطلَّع إلى السماء ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !.. كيف لم تصل حتى الآن يا (نور) ؟!

بلغ به الزورق شاطئ النجاة ، فى لحظات معدودة ، فهبط عنه ، وابتعد عن الشاطئ بضع خطوات ، قبل أن يلتفت إلى النيل ، ويدير عينيه فيه بعض الوقت ، ثم يرفع عينيه إلى السماء ، متمتمًا :

ـ هيا أيها المقدَّم (نور) .. كلانا يعلم أن سيارتك لن تسعفك بالوصول إلى هنا فى الوقت المناسب .. أعنى سيارة زميلك بالطبع .. وأنك ستستقل حوَّامة حتمًا .. هيا .. لا تجعلنى أفقد الثقة بعقليتى النادرة ، واستنتاجاتى المدهشة .

لم يكد يتمَّ عبارته ، حتى تألَّقت عيناه فى شدة ، عندما ظهرت الحوَّامة فى الأفق ، وهى تنطلق نحو السفينة ..

وفى صمت أبلغ من الكلام ، تابع (هاشم) الحوَّامة (الهليوكوبتر) ، وهى تتجه إلى السفينة ، وتحوم حولها ، ثم تمتم :

ـ أسرع أيها المقدَّم (نور) .. لا تخذلنى يا رجل .. أمامك أكثر من دقيقتين ونصف الدقيقة ..

وفى الحوَّامة ، هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ لا يوجد مكان صالح للهبوط هنا يا (نور) .. ماذا ينبغى أن نفعل ؟!

تخلَّى له (نور) عن عصا القيادة مجيبًا فى حزم :

ـ الضرورى يا عزيزى (أكرم) .. الضرورى .

التقط (أكرم) عصا القيادة فى سرعة ، للسيطرة



فى حين وثب (نور) منها إلى سطح السفينة وثبة مدهشة ، جعلت (أكرم) يهتف ؟ . . ـ رباه ! . . احترس يا رجل . .

على الحوّامة ، فى حين وثب (نور) منها إلى سطح السفينة وثبة مدهشة ، جعلت (أكرم) يهتف .

ـ رباه !.. احترس يا رجل ..

كان (نور) يرتدى زيه الواقى ، ولكن الارتطام بالسطح كان عنيفًا بحق ، فتدحرج فوقه بضع لحظات ، قبل أن يهبّ واقفًا ، ويقول لأقرب البحارة إليه فى لهفة صارمة :

ـ أين القبطان ؟! أنا المقدّم (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية .. الأمر عاجل للغاية .

حدّق البحار فى وجهه بدهشة بالغة ، فصاح فيه بغضب :

ـ أين القبطان ؟!

هتف به الرجل ، وهو ينتزع نفسه من دهشته :

ـ هناك .. فى قاعة الطعام .. الجميع يتناولون طعام الغداء الآن .

لم يكن الرجل بحاجة فعلية للإجابة ، فقد برز القبطان والركاب من قاعة الطعام ، وهم ينقلون بصرهم بين (نور) والحوّامة فى دهشة ، فصاح بهم (نور) :

ـ غادروا السفينة بسرعة .. هناك قنبلة فيروسية ستنفجر بعد دقيقة واحدة .

بدت الدهشة على وجوههم أكثر ، وقال القبطان فى صرامة :

- من أنت يا رجل ؟! وكيف تأمر الركاب بمغادرة سفينة أنا قبطانها ؟!

صاح به (نور) :

- أنا المقدّم (نور الدين) .. من المخابرات العلمية .. لابد من إخلاء السفينة بأقصى سرعة .

أجابه القبطان بنفس الصرامة :

- ألديك هوية تثبت هذا ؟!

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يدور بالحوّامة حول السفينة ، ويشاهد ما يحدث ، ثم قال فى حدة :

- يبدو أن وسائلك الرقيقة المهذّبة لن تجْدى هذه المرة يا (نور) .

قالها ، واستلّ مسدسه من غمده ، وصاح وهو يطلق رصاصاته فى الهواء :

- ألم تسمعوا .. غادروا السفينة فورًا .

لم يكد دوى الرصاصات يخترق آذانهم ، حتى انطلقت صرخاتهم ، وتسابقوا للقفز إلى الماء ، والقبطان يهتف ببحارته :

- ألقوا زوارق النجاة !.. انقذوا هؤلاء المجانين .

ثم التفت إلى (نور) ، صائحًا فى غضب :

- ستدفع ثمن هذه الفوضى غاليًا يا رجل ، حتى ولو كنت أحد ضباط جهاز المخابرات العلمية .

أدار (نور) عينيه فى المكان ، وهو يجيب فى عصبية :

- من يدرى ؟! ربما تمنحنى وسامًا ، لو علمت أى مصير كان ينتظركم ، لو لم تحدث هذه الفوضى ، أو ...

وفجأة ، بتر عبارته ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى قنينة صغيرة ، تحوى سائلاً مائلاً إلى الزرقة ، ويلتصق بها جسم أشبه بالعملة المعدنية ، ثم اندفع نحو القبطان صائحًا .

- يبدو أننا سنضطر لتأجيل حديثنا يا سيدى القبطان .

وأحاط وسطه بذراعيه ، ودفعه أمامه فى قوة ، حتى اندفع جسداهما عبر حاجز السفينة ، وهويا معًا إلى الماء ..

وقبل لحظة من غوصهما فى أعماقه ، انفجرت القنينة ..

كان انفجارها مكتومًا ، تناثرت معه قطرات السائل

المائل إلى الزرقة ، فى قاعة الطعام ، التى كانت تكتظ بالرواد ، منذ دقائق معدودة ، وانتشرت داخلها على نطاق واسع .

ولم يكد رأس (نور) يبرز إلى السطح ، حتى صرخ بكل قوته :

ـ الآن يا (أكرم) .. الآن ..

وضغط (أكرم) زرًا فى عصا قيادة الحوّامة ، فى نفس اللحظة التى صعد فيها القبطان إلى السطح ، وصرخ :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

دفعه (نور) فى قوة ، هاتفًا :

ـ كارثة .

ومع هتافه ، انطلق صاروخ صغير من الحوّامة ، واخترق المطعم ..

وانفجر ..

ومع انفجاره ، اندلعت ألسنة اللهب فى المكان ، وراحت تلتهم السفينة فى سرعة ، و (نور) يدفع القبطان أمامه ، وهو يسبح مبتعدًا عن السفينة ، مستطردًا فى ارتياح واضح :

ـ كارثة أمكن السيطرة عليها ..

ومن بعيد ، وعلى شاطئ النيل ، رأى الدكتور (هاشم) كل ما حدث ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ أحسنت هذه المرة أيها المقدّم .. وصلت فى الوقت المناسب ، وانقذت الجميع ، ثم أحرقت السفينة للقضاء على الفيروس .. استخدمت النار للقضاء على (هشيم) ... فكرة لا بأس بها بحق .

ثم انعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يضيف فى صرامة :

ـ ولكن تذكّر أنك لم تربح إلا لأننى منحتك مفاتيح هذا النصر .

وتسلّلت لمحة مقت وغضب إلى ملامحه ، وهو يستطرد فى حزم :

ـ ولكن الأمر سيختلف فى المرة القادمة .. سيختلف كثيرًا ..

نطقها ، وعيناه تبرقان على نحو مخيف ، جعله أشبه بشيطان نجح فى الفرار من أعماق الجحيم ..

شيطان رجيم ..

* * *

« هناك شىء ما يحدث هنا .. »

نطقت (مشيرة محفوظ) الجملة بلهجة خاصة ، على شاشة أنباء الفيديو ، من موقع غرق (أميرة النيل) ، هى تشير إلى المكان ، مستطردة :

- الجميع يلتزمون الصمت ، ويرفضون الإدلاء بأية أحاديث أو تصريحات رسمية ، حول كارثة مركز (الهدف) التجارى أو حادث (أميرة النيل) ، ولكن مما لا شك فيه أن الحادثين يربطهما خيط واحد ، وقد تعرّف الشهود اثنين من رجال المخابرات العلمية ، فى موقعى الحادثين ، قبل حدوثهما بلحظات ، بل ويؤكد شهود حادث (أميرة النيل) أن أحدهما هو المسئول عن احتراق السفينة السياحية وغرقها ، وأنه فعل هذا بوساطة حوّامة عسكرية ، تحمل شعار إدارة الأمن العام ، و ....

أوقف وزير الدفاع البث ، عند هذه النقطة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

- فضيحة أيها المقدّم .. (مصر) كلها تتحدث عن الأمر ، وتلك الصحفية تنشر التفاصيل أولاً فأولاً ، وتتابع الموقف فى عناد ، مما يثير قلق الناس وخوفهم .

أجابه (نور) فى حزم :

- خصمنا يختار أماكن عامة مزدحمة لتوجيه ضرباته يا سيادة الوزير ، ومن حسن حظنا أن الحادث الثانى مرّ بلا ضحايا .

صاح به الوزير :

- ولكن بفضيحة كبرى .

سأله (نور) فى توتر :

- هل يعتقد سيادة وزير الدفاع أننا لم نؤد عملنا كما ينبغى ؟!

أجابه الوزير بلهجة متحدية :

- نعم .. هذا ما أعتقده .

انعقد حاجبا (نور) لحظة فى غضب ، إلا أنه لم يلبث أن تمالك أعصابه فى سرعة ، وتراجع فى مقعده ، قائلاً :

- إنه اعتقاد خاطئ للأسف .

احتقن وجه الدكتور (ناظم) ، وأدرك أن الأمور ستحتدم ، كما يحدث فى كل مرة ، فى حين تفجرت ثورة الغضب فى وجه الوزير ، وهو يقول :

- كيف تجرؤ أيها الـ ...

كان جسده ينتفض من فرط الانفعال ، إلا أن (نور) قاطعه فى صرامة عجيبة ، وهو يقول :

ـ ولم أكن أرغب فى أن نصل بالأمر إلى هذا الحد ، ولكن يبدو أننى مضطر لتذكيرك بأن وزارة الدفاع تشارك معنا فى هذه العملية ، ولكنها لا تقودها ، ولا حتى تشرف عليها ، وهذا يعنى أن فخامتك لا تمتلك أية سلطة مباشرة ، أو غير مباشرة علينا .

هتف الدكتور (ناظم) مذعورًا :

ـ (نور) .. ماذا تقول ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ الحقيقة يا دكتور (ناظم) .. الحقيقة .

انتفض جسد وزير الدفاع من فرط الانفعال ، وهو يومئ بسبابته فى وجه (نور) ، قائلاً :

ـ أيها الـ .... الـ ....

شدّ (نور) قامته فى اعتداد ، والتقى حاجباه فى صرامة وهو يقول :

ـ الـ .. ماذا يا سيادة الوزير ؟!

احمرّت عينا الوزير ، حتى خُيِّل للدكتور (ناظم) أنهما ستنفجران فى وجه (نور) ، فهبّ قائلاً :

ـ تقبّل اعتذارى يا سيّدى الوزير .. المقدّم (نور) لم ..

التفت إليه الوزير ، هاتفًا فى حدة :

ـ اصمت .

تراجع الدكتور (ناظم) مبهوتًا ، فى حين عاد الوزير يلتفت إلى (نور) ، قائلاً فى غضب هادر :

ـ أنت على حق أيها المقدّم .. ليس لى حق قيادتك ، أو حتى الإشراف عليك ، ولا أمتلك فى الوقت الحالى ، سلطة مباشرة أو غير مباشرة تجاهك ، ولكننى أشاركك العملية ، لذا فسأنصحك أن تبذل قصارى جهدك ، للفوز بالأمر ، والسيطرة عليه ، خلال الساعات الست القادمة ، وإلا ....

لم يتمّ عبارته ، ولكن نظراته النارية أفصحت عن ضعف ما يمكن أن ينطقه لسانه ، قبل أن يندفع مغادرًا المكان إلى سيارته ، فهتف الدكتور (ناظم) :

ـ ما كان ينبغى أن تفعل هذا أبدًا يا (نور) .. إنك تتحدّى وزير الدفاع شخصيًا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لست أتحداه يا دكتور (ناظم) ، وإنما أحاول منعه من إفساد عملنا ، وتحطيم الروح المعنوية لفريقى ، فالوقت والموقف لا يحتملان هذا .

ثم عقد حاجبيه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ خصمنا هذه المرة قاس لا يرحم ، والوقت يمضى بسرعة ، والخطر يتزايد ويتضاعف فى كل لحظـة ، ولا مجال الآن لصراعات شخصية ، أو ردود فعل انتقامية ، حتى ولو كان صاحبها وزيرًا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها العبارة ، كـان الوزير يتحدّث إلى مساعده الأوّل ، عبر هـاتف الفيديو الخاص فى سيارته الرسمية ، قائلاً فى غضب ثائر :

ـ ذلـك المقدّم تجاوز كـل الحدود ، ويستحق عقابًا صارمًا ، ولكن ينبغى أوّلاً أن نثبـت للسيّد الرئيس أنـه غير كفء لأداء مهمـة كهذه ، وأن وزارة الدفـاع هـى أفضل جهة لمقاومة الارهاب ، أيًا كانت صورته .. أريد أن يتنصّت رجالنا على كل اجتماعات (نور) وفريقه .. أريد معرفة كل تحركاتهم ، قبل حتى أن يقوموا بها .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

ـ ولتكن حربًا بيننا وبينه .. بلا هوادة .

وكـان هذا يضـع عقبـة جديدة فى طريـق (نـور) وفريقه ..

عقبة على أعلى مستوى رسمى .

★ ★ ★

٦ ـ بلا هــوادة ..

لوّح (أكرم) بذراعه كلها فى حنق ، وهو يصف للجميع ما حدث عند السفينة (أميرة النيل) ، قائلاً :

ـ كان (نور) بعيد النظر منذ البداية ، عندما اتجه بنـا إلى قـاعدة الأمـن الجـوى ؛ لنستقل حوّامـةً إلـى السفينة ، فقد كان يرغب فـى الوصول إليها بسرعة ، فى قلب النيل ، ولكن ذلك الوغد كان مستعدًا ، وأراهن على أنه كان يتوقّع وصولنـا جوًا ، وفـى الوقت نفسه كادت أعصابى تحترق ، وقبطان السفينة يجادل (نور) ، رافضًا فكرة مغادرتها ، فى نفس الوقت الذى تقترب فيه لحظـة الانفجار بسرعة مخيفـة ، فـاضطررت لإقناعـه والركاب بأسلوب آخر .

قالت (نشوى) :

ـ أعلم هذا .. لقد أطلقت عليهم النار .

أشار (أكرم) بسبّابته ، قائلاً فى حدة :

ـ خطأ .. لم أطلق النار عليهم ، والدليل أن أحدهم لم يصب بخدش واحد .. لقد أطلقت رصاصات حولهـم ، وعنـدما أصبحـت السفينـة خاليـة تمامًا ، أطلقت عليها

ذلك الصاروخ الحارق ، لتنتشر النار فى (هشيم) ، وتقضى عليه فى مضجعه .

تنهَّد (نور) فى شىء من الإرهاق ، قائلاً :

ـ بهذا فقط انتصرنا على الدكتور (هاشم) فى هذه الجولة .

غمغم (رمزى) :

ـ هذا لن يسعده بالتأكيد .

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ إننا لم نتوقَّع العكس .

تابع (رمزى) ، وكأنه لم يسمع عبارة (أكرم) :

ـ وسيسعى للانتقام .

التفت إليه الجميع فى قلق ، واعتدل (نور) فى مجلسه ، وهو يسأله فى اهتمام بالغ :

ـ ألا يسعى إليه بالفعل ؟!

أجابه (رمزى) :

ـ إننى أقصد نوعًا آخر من الانتقام .. الانتقام منك شخصيًا يا (نور) ، ومحاولة تدميرك ، وتدمير الفريق بأكمله لو أمكن .. الرجل مصاب بمرض نفسى ، تطلق عليه اسم (البارانويا) ، وهو مزيج من الشعور بالعظمة وعقدة الاضطهاد .

سأله (أكرم) مستنكرًا :

ـ وكيف يجتمع هذا وذاك ؟!

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً :

ـ إنهما لا يفترقان أبدًا ، فالشخص المصاب بهذا المرض النفسى يتصوَّر أنه عظيم وعبقرى ومتميِّز ، ولكنَّ الآخرين لا يقدرون هذا ، ولا يوفونه حقه ، لذا فهو إما أن يسعى لتأكيد ذاته وقدراته وتميُّزه طوال الوقت ، أو تتملَّكه رغبة عارمة فى الانتقام ممن يرفضون الاعتراف به وبعبقريته ، وعندما بدأ الدكتور (هاشم) هذه اللعبة ، كان يدرك جيدًا أنه سيواجه المقدَّم (نور) وفريقه ؛ لأن المسئولين سيسندون إليهم العملية حتمًا ، باعتبارهم أفضل فريق فى الإدارة كلها ؛ لذا فقد درس ملف الفريق على الأرجح ، وقضى وقتًا فى فهم أسلوبنا ، وتقدير ردود أفعالنا ، ودرجة ذكائنا ، وغيرها من العوامل ، التى ينبغى أن يعتمد عليها فى قتاله معنا .. وعندما حقَّق انتصارًا محدودًا ، فى مركز (الهدف) التجارى ، أدرك أنه الأقوى ، وأن باستطاعته هزيمة الفريق الأوَّل كله ، ولكنه فوجئ بالفريق ينتصر عليه فى الجولة الثانية ، ويفسد خطته

كلها ، ومن المستحيل أن يسمح بمرور هذا ببساطة .. لابد أن يثبت لنفسه ولنا ، أنه ما زال الأقوى ، فى الجولة الثالثة .

سأله (نور) :

ـ وما الذى تتوقَّع منه أن يفعله ؟

لوّح (رمزى) بكفه ، قائلاً :

ـ أى شىء ؟! سيفعل أى شىء ؛ ليضمن النصر .. لن يقبل مبدأ الهزيمة أبدًا ، مهما كانت الأسباب ..

قالت (سلوى) :

ـ ربما يضرب ضربته القادمة دون إنذار مسبق مثلاً .

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. لن يفعل هذا ، فالضربة دون إنذار تُفقده متعة اللعبة ، والإحساس بالتفوق .. لابد وأن يتحدانا فى كل مرة ، وأن يثبت لنفسه أنه هزمنا ، وتفوق علينا ، وإلا فما فائدة كل ما يفعله ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ما الذى يمكن أن يفعله إذن بالله عليك ؟

أجابه (رمزى) :

ـ أن يجعل الأمر أكثر صعوبة ..

أطلّ تساؤل قلق من العيون ، فتابع فى اهتمام أكثر :

ـ سيجرى اتصاله بنا كالمعتاد ، وسيمنحنا مفاتيح الحل ، ولكنه فى هذه المرة سيجعل الأمر أكثر صعوبة ، والمهلة أقل وقتًا .. باختصار ، سعيدّل قواعد اللعبة لصالحه .

سأله (نور) :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيمنحه شعور الانتصار ، الذى يسعى إليه ؟!

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. عقله المريض سيقنعه بأن هذا تعديل عادل للغاية ، فما دمنا قد انتصرنا فى الجولة السابقة ، فمن الطبيعى أن يرتفع مستوى اللعبة فى الجولة التالية ، تمامًا مثلما يحدث ، عندما تمارس لعبة الشطرنج مع الكمبيوتر ، فكلما أثبتّ تفوقًا ، ارتفع هو بمستوى اللعب لمجاراتك .

تمتم (أكرم) فى غضب :

ـ يا للوغد !

وهتفت (نشوى) :

ـ آه لو أمكننا تعقُّب الاتصال مرة واحدة .

هبَّ (نور) من مقعده فى حزم ، قائلاً :

- هذا ما ينبغى أن نركز عليه جهودنا ، فى هذه المرحلة يا رفاق .. إننا نعلم الآن أن الدكتور (هاشم) يجرى اتصالاته عبر شبكة معقدة ، تعتمد فى أحد مراحلها على اتصال ما بالأقمار الصناعية ، ونحن نجهل القمر الذى يستخدمه للاتصال ، لذا فنحن عاجزون عن تتبعه ، وينبغى أن نبحث عن أية وسيلة أخرى لتحديد قمر الاتصالات ، قبل أن يستعد لضربته التالية .

قال (رمزى) فى اهتمام :

- الرجل أجرى اتصاله بنا من السفينة يا (نور) ، ويمكننا تحديد الرقم الذى اتصل به ، من سجلات كمبيوتر الملاحة النهرية .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- لا فائدة .. لقد اتصل من السفينة عبر دائرة مغلقة ، لا يتم تسجيلها فى كمبيوتر هيئة الملاحة النهرية .. لقد أعدّ الأمر بحيث لا يمكننا تعقّب اتصاله قط .

سألت (نشوى) :

- وماذا عن ذلك الاتصال ، الذى أجراه من المركز التجارى ؟!

تنهّد (نور) ، قبل أن يجيب :

- هناك مائة وسبعة وعشرون هاتفًا عامًا ، فى طوابق المركز العشرة ، والرجل أجرى اتصاله من أحد هذه الهواتف ، وما لم يمكننا تحديد الهاتف الذى تحدّث عبره ، سيصبح الأمر عديم الجدوى ، إذ إن معظم رواد المركز أجروا محادثات عبر الأقمار الصناعية ، فى ذلك اليوم .

قال (أكرم) فى حماس :

- ولكننا نمتلك أسطوانات المراقبة كلها يا (نور) ، وبوساطتها يمكننا تحديد الهاتف المطلوب .

هزّت (سلوى) رأسها فى أسف ، قائلة :

- لقد راجعت كل التسجيلات بنفسى ، ولم يمكننى تحديد موقع الدكتور (هاشم) فى أى مكان بالمركز ، سوى بالطابق الخامس ، بعد أن ساد الهرج ، عندما وضع قنبلته الفيروسية .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت :

- ولست أظننا نستطيع تعرّفه فى أى مكان .

قال (أكرم) مستنكرًا :

- لست أظنه بارعًا فى التنكُّر إلى هذا الحد !

غمغمت (سلوى) :

- هل تعتقد هذا ؟!

ثم استدارت إلى الكمبيوتر ، مستطردة :

- راقبوا هذا المشهد إذن .

ضغطت أزرار الكمبيوتر ، وراحت المشاهد تتحرك على نحو بالغ السرعة على شاشته ، حتى توقَّفت (سلوى) عند مشهد هبوط المصعد من الطابق الخامس ، وقالت :

- لاحظوا واجهة المصعد الزجاجية ، وستجدون الدكتور (هاشم) داخله ، يهبط إلى الطابق الأرضى .

غمغم (أكرم) فى شىء من الضجر :

- وما المثير فى هذا ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اتسعت عيناه فى دهشة بالغة ، عندما ضغط الدكتور (هاشم) ياقته ، فتغيّرت ملامحه دفعة واحدة ، وهتف (نور) :

- يا إلهى !.. لقد استولى على جهاز التبدّل الفائق .

التفت إليه (أكرم) ، متسائلاً ، فى مزيج من الدهشة والعصبية :

- جهاز ماذا ؟!

أجابته (سلوى) :

- جهاز التبدُّل الفائق يا (أكرم) .. إنها وسيلة تنكُّر حديثة ومتطوِّرة ، شاركت و(نشوى) فى وضع تصميماتها ، خلال العام الماضى ، وهى عبارة عن آلة بث هولوجرامية ، ثلاثية الأبعاد ، مصممة بحيث تبث صورة وهمية حول وجه أى شخص ، تحمل ملامح أخرى ، يمكن اختيارها عشوائيًّا ، أو إضافتها إلى أكثر من ألفى تفصيلة ، تم برمجتها داخله .

سألها (أكرم) فى دهشة :

- أتعنين أن ذلك الوغد يمكنه اختيار ألفى وجه لتغيير ملامحه ؟!

هزت رأسها ، قائلة :

- بل ألفى تفصيلة يا (أكرم) .. ألفى شكل لتصفيفة الشعر ، ولونه ، وكثافته ، وشكل العيون ، والشفاه ، والآذان ، والذقن ، ولون البشرة .. ألفى تفصيلة يمكن بدمجها عشوائيًّا الحصول على ملايين الوجوه الجديدة .

اتسعت عينا (أكرم) لحظة قبل أن يضرب الجدار بقبضته ، قائلاً فى حنق :

- اللعنة !.. كيف يمكن إلقاء القبض على وغد يتمتع بكل هذه الامتيازات ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- هذا يعود بنا إلى البداية يا (أكرم) .. لابد أن نبذل قصارى جهدنا ، لمعرفة المدينة التى يجرى الرجل اتصالاته بها ، فى (أوروبا) أو (أمريكا) ، أو أية قارة أخرى ، حتى يمكننا تتبع اتصالاته ، وتحديد موقعه وهدفه بالسرعة المناسبة .

سأله (رمزى) :

- ألديك ما تقترحه فى هذا الشأن يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى حزم :

- بل هناك الكثير مما يمكن فعله يا (رمزى) .

ثم التفت إلى (نشوى) ، قائلاً :

- ابحثى مرة أخرى فى ملفات الدكتور (هاشم) يا (نشوى) .. ابنشى فى كل مكان يمكن أن يذهب إليه .. تعقَّبى شركات الطيران والقطارات ، وحتى شركات تأجير السيارات ، فى كل مكان فى العالم ، وراجعى سجلات بطاقاته الائتمانية ، ومصروفاته البنكية ، وحتى ملفاته الضريبية ، وبريده .. أريد معرفة كل تفاصيل حياته اليومية لحظة فلحظة ، فحتى العباقرة يمكن أن يفوتهم شىء ما ، أو يرتكبوا ولو خطأ بسيطًا ، يقودنا إليهم .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

- ما دمنا سنلجأ إلى الوسائل التقليدية ، فلِمَ لا نقوم بالإجراء نفسه ، الذى يقوم به مخبرو الروايات البوليسية منذ الأزل .

سأله (نور) فى اهتمام :

- أى إجراء هذا ؟

أجابه (أكرم) فى حزم :

- تفتيش أقرب الأماكن إليه .. بيته ومكتبه .

وكان الاقتراح منطقيًا وعمليًا بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

★ ★ ★

« منزله ومكتبه ؟! »

ردَّد وزير الدفاع الكلمة فى اهتمام كبير ، وهو يستمع إلى مساعده الأوَّل ، ثم رفع عينيه إليه ، يسأله فى صرامة ..

- أأنت واثق من أنهم سيقومون بتفتيش منزله ومكتبه ؟!

أومأ مساعده برأسه إيجابًا ، وهو يبتسم فى ثقة ، وقال :

ـ كل الثقة يا سيِّدى الوزير .. إننا نستمع لكل حرف يتبادلونه فى حجرة اجتماعاتهم ، عن طريق قمرنا الصناعى الخاص بالتجسُّس والتنصُّت الفائق .. إنهم لم ينتبهوا إلى أننا نمتلك شفرة منع التنصُّت الخاصة بهم ، ويمكننا اختراقها فى سهولة .

أجابه الوزير فى حدة :

ـ هذا أمر طبيعى يا رجل ، فنحن بالنسبة لهم جزء من هيئة الأمن القومى ، ولسنا جهة عدوّة .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى المساعد ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى الوزير .. بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ـ هل ترغب فى أن نعترض طريقهم ، ونمنعهم من تفتيش المكانين ؟

هزّ الوزير رأسه نفيًا ، ومطّ شفتيه ، قبل أن يقول :

ـ كلا .. دعهم يفعلون .. امنحهم الفرصة الكافية لمعرفة كل شىء عن ذلك الرجل ، وامنحهم حتى فرصة تحديد موقع اتصاله .

ثم انعقد حاجباه بشدة ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـ ولكن لا تسمح لهم أبدًا بالتوصُّل إليه قبلنا .

أومأ الرجل برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ اطمئن يا سيِّدى الوزير .. لن نسمح لهم بالتوصُّل إليه قبلنا قط .

تراجع الوزير فى مقعده ، وقال بشىء من العصبية :

ـ لا أريد أن يقع بين أيديهم حيًا ، وأنت تعلم جيدًا لماذا ؟

عاد الرجل يومئ برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـ اطمئن يا سيادة الوزير .. لقد تم محو ملف الرجل كله .. اطمئن .

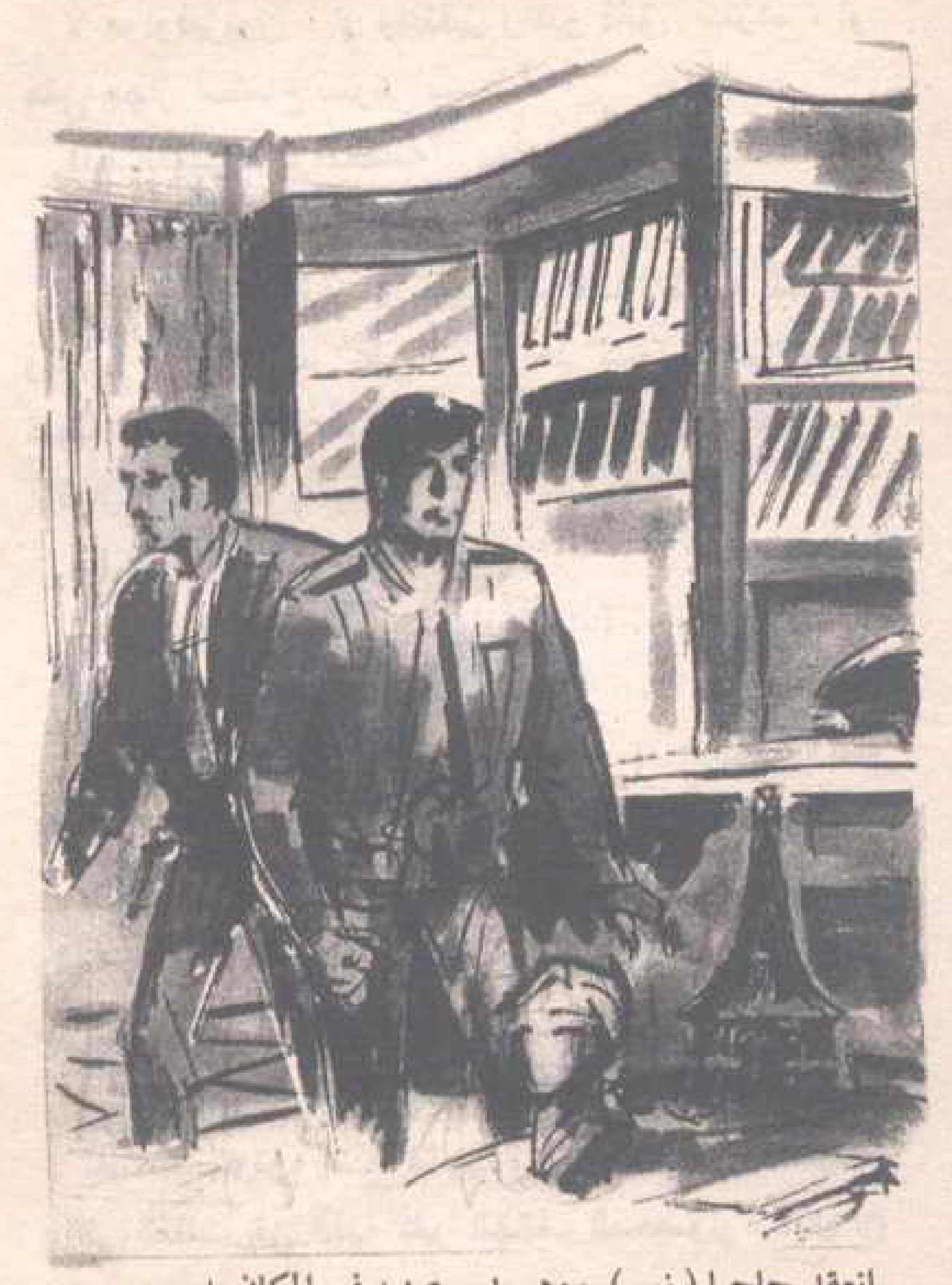
مطّ الوزير شفتيه ، دون أن يقول شيئًا ، ولكن عبارة مساعده وحديثه عن محو ملف الدكتور (هاشم) كانا يحملان معنى خاصًا ، لا يفهمه سواهما ..

معنى ربما كان أكثر غموضًا من الموقف كله ..

أو أكثر خطورة ..

★ ★ ★

مطّ (أكرم) شفتيه فى ضيق واضح ، وهو يدير عينيه فى منزل الدكتور (هاشم) ، قبل أن يلقى نظرة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى السادسة مساءً ، ويقول فى حنق :


انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدير عينيه فى المكان بدوره ..

ـ كل شىء نظيف تمامًا هنا يا (نــور) .. مـن الواضح أن الرجل يجهّز للأمـر منذ فترة طويلة ، فلم يترك ذرة واحدة خلفه ، يمكننا أن نستدل بهـا على موقعه ، أو نحدّد نقطة اتصالاتـه الخارجيـة .. حتى الكمبيوتر الخاص بـه تـم محـو برنامجـه الرئيسـى ، وإزالة ذاكرته الأساسية عن آخرها .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدير عينيه فى المكان بدوره ..

كان منزلاً بسيطًا ، كمنازل معظم العلمـاء ، تميّزه . مكتبة ضخمة ، فى نهاية الردهة ، اكتظّت بعشـرات الكتب ، التى تتحدّث عـن الفيروسـات ، وعلومهـا ، وأحدث البحوث الخاصة بها ، إلى جوار عدد كبير من الدمى والتحف الصغيرة ، ونمـاذج المعـالم الأثرية أو السياحية الشهيرة ، من مختلف البلدان ، والشهادات التى حصل عليها الدكتور (هاشم) ، فى (مصـر) ودول العالم الأخرى ، وبعض الصور المجسّمة له ، فى بعض المؤتمرات الدولية ..

والعجيب أنه لم تكـن هنـاك أيـة أجهزة للاستماع أو المشاهدة ..

لا هولوفيزيون ، أو مستقبل راديو فائق التردُّد ، أو حتى جهاز استماع صوتى بسيط ..

فقط الكمبيوتر وملحقاته ..

وفى توتر ، غمغم (نور) :

ـ من الواضح أنه بذل جهدًا خرافيًا لإخفاء آثاره ، ولكننى ما زلت أصرّ على أنه لا أحد كامل ، فى الدنيا كلها .. ربما كان عبقريًا ، ولكن هذا لن يمنعه من ارتكاب ولو خطأ بسيط .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ هذا ينطبق عليك أيضًا يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل على كل مخلوق حى يا (أكرم) .. الكمال لله (سبحانه وتعالى) وحده .

قالها ، وهو يلتقط هاتفه الخاص من جيبه ، ويطلب رقم حجرة الاجتماعات الخاصة بالفريق ، ولم يكد يسمع صوت ابنته (نشوى) حتى سألها فى اهتمام :

ـ هل توصلت إلى شىء يا (نشوى) ؟!

تضاعف توتره مع التنهيدة الحارة التى أطلقتها ، والتى انتقلت إلى أذنيه عبر الهاتف المحمول ، قبل أن تجيب :

ـ مطلقًا يا أبى .. الدكتور (هاشم) ليس عبقريًا وخبيرًا بالفيروسات والكائنات الدقيقة فحسب .. إنه شديد البراعة أيضًا ، فى كل ما يتعلّق بالكمبيوتر .. لقد اخترق كل الشبكات الخاصة به ، ومحا ما عليها من معلومات تمامًا .. بريده ، سجلاته البنكية ، ملفاته الضريبية ، اتصالاته الهاتفية ، تنقلاته ، وحتى بطاقته الائتمانية .. لم يترك خلفه خيطًا واحدًا ، يمكن تعقُّبه بوساطته .. لقد توقّع كل خطوة يمكن أن نلجأ إليها بلا أدنى استثناء .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ وماذا عن (رمزى) وأمك ؟! هل عثرا على شىء ما فى مكتبه ؟!

تنهّدت مرة أخرى ، وقالت :

ـ كلاّ للأسف .. حتى بصماته محاها من المكان .. الشىء الوحيد الذى تركه خلفه هو سجله الوظيفى ، وكأنما يرغب فى أن يبقى اسمه فى إدارة الأبحاث العلمية دائمًا ، أو أنه يترك تذكارًا يؤكدّ تفوّقه ، أو ...

قاطعها (نور) بهتاف مباغت :

ـ يترك تذكارًا ؟!

نطقها بلهجة جعلت جسدها كله ينتفض فى عنف ، وخيّل إليها أنها تلمح بريق عينيه عبر الهاتف ، حتى إنها قفزت من مقعدها ، هاتفة :

- أبى .. لقد توصلّت إلى شىء ما .. أليس كذلك ؟! أليس كذلك يا أبى ؟!

لثوان ، لم يجب عن سؤالها ، وهو يحدّق فى تلك المكتبة الضخمة أمامه ، قبل أن يقول فى انفعال :

- (نشوى) .. اجلسى مرة أخرى أمام الكمبيوتر ، وراجعى الملف الوظيفى للدكتور (هاشم) .. أريد قائمة كاملة بكل الأماكن التى سافر إليها ، منذ تسلّم عمله فى إدارة الأبحاث العلمية ، وحتى هذه اللحظة .

هتفت فى انفعال أكبر :

- ما الذى توصلّت إليه يا أبى ؟!

أجابها فى حزم :

- ابحثى عن القائمة أولاً .. سأنتظرك على الهاتف .

قالت فى حماس :

- فليكن .. لن يستغرق هذا وقتًا طويلاً .

وقفزت إلى جهاز الكمبيوتر ، وراحت تضرب أزراره فى سرعة ، فتراصت المعلومات أمامها ، وتكوّنت القائمة بسرعة ، فعادت تلتقط سمّاعة الهاتف وقالت :

- القائمة ليست ضخمة يا أبى .. الدكتور (هاشم) سافر ست مرات ، منذ عمله فى إدارة البحث العلمى ، إلى (لندن) و (باريس) فى (أوروبا) ، (واليابان) فى قارة (آسيا) ، و(سيدنى) فى (استراليا) ، و (البرازيل) فى (أمريكا الجنوبية) ، و (نيويورك) فى (أمريكا الشمالية) .. ولكن يا إلهى !.. لقد تنقّل بين خمس قارات ، وهذا يجعل الأمر صعبًا .

أجابها فى حزم :

- ليس كما تتصوّرين يا عزيزتى ، فحتى العباقرة لهم نزواتهم واهتماماتهم ، والدكتور (هاشم) ليس استثناءً من القاعدة .. هو أيضًا له نزواته .

قالها ، وهو يتجه إلى المكتبة الكبيرة ، فتبعه (أكرم) وهو يسأله فى اهتمام بالغ :

- ما الذى توصلّت إليه يا (نور) ؟

أشار (نور) إلى النماذج الأثرية والسياحية الصغيرة ، وهو يجيب :

- منذ البداية ، كنت أعلم أن الدكتور (هاشم) لن يختار دولة من الدول التى زارها رسميًا ؛ ليضع فيها هاتف البث الرئيسى ، حتى لا نتوصل إليها فى سهولة ، وأنه سيسافر سرًا إلى دولة أخرى ، لا يمكننا معرفتها

بطرق البحث التقليدية ، ولكن المشكلة التى لم ينتبه إليها ، أو لم يتصوّر أن ننتبه نحن إليها ، هى أنه يهوى جمع نماذج الأماكن الأثرية والسياحية ، من كل دولة يذهب إليها ، لذا فستجد فى مكتبه نموذجًا ، لبرج (إيفل) الفرنسى(*) ، وساعة (بج بن) الشهيرة فى (لندن (**) ، و (كوبرى لميناء) فى (سيدنى)(***) ، وتمثال الحرية الأمريكى (****) ،

(*) برج (إيفل) : أحد أشهر معالم (باريس) السياحية ، صممه المهندس الفرنسى (جوستاف إيفل) (١٨٣٢ ــ ١٩٢٣ م) ، ارتفاعه حوالى ٣٢٨ م ، وأقيمت عند قمته محطة للأرصاد الجوية ، وأخرى لا سلكية .

(**) ساعة (بج بن) : ساعة دقّاقة فى برج البرلمان الإنجليزى (قصر وستمنستر) فى (لندن) .

(***) كوبرى الميناء : كوبرى شهير ، يربط (سيدنى) بـ(سيدنى الشمالية) .

(****) تمثال الحرية : تمثال ضخم ، مقام فى جزيرة عند مدخل ميناء (نيويورك) ، أعدّه الفنان الفرنسى (بارتولدى) ، تخليدًا لذكرى الثورتين ، الأمريكية والفرنسية ، يبلغ ارتفاعه حوالى ٤٦ مترًا ، وارتفاع قاعدته ٤٥ مترًا ، أهدته الرابطة الفرنسية الأمريكية للولايات المتحدة عام ١٨٨٤ م .

وقناعا أثريًا بدائيًا من (البرازيل)(*) ، وصورة مجسّمة لجبل (فوجى ياما) اليابانى(**) ، وإلى جوار كل هذا نموذج أنيق لبرج (بيزا) المائل من (إيطاليا) (***) ، ولو راجعت كل النماذج ، فستجد أنها مأخوذة من دول زارها الدكتور (هاشم) رسميًا ، باستثناء برج (بيزا) المائل .

هتف (أكرم) ، وهو يحدّق فى النموذج الصغير فى انبهار :

ـ يا إلهى !.. هل تقصد أن ؟!

قاطعه (نور) بسرعة :

(***) البرازيليون خليط من الهنود والزنوج ، وسلالات بيضاء مختلفة ، وكانت لهم حضارة كبيرة ، قبل وصول المستكشف البرتغالى (كابرال) ، عام (١٥٠٠ م) .

(****) فوجى ياما : جبل ارتفاعه (٢٧٧٨ م) ، يقع بوسط جزيرة (هنشو) فى اليابان ، بقمته فوهة بركان خامد .

(*****) برج بيزا المائل : من أشهر الأبراج العالمية ، يوجد فى (إيطاليا) ، ارتفاعه حوالى ٩ , ٥٤ متر ويميل حوالى ٢٧ , ٤ م .

- نعم يا (أكرم) .. مثل الدكتور (هاشم) لجمع التذكارات ، قادنا إلى الدولة التى يطلق منها بث الأقمار الصناعية الرئيسى ..

واعتدل مضيفًا فى حزم :

- (إيطاليا) ..

نطقها ، وهو يشعر فى أعماقه بارتياح غامر ، وبشوق لبدء الجولة الثالثة مع خصمه ..

الجولة التى قد تختلف فيها الأمور ..

كثيرًا ..

★ ★ ★

أدار الدكتور (هاشم) عينيه فى هدوء ، فى المكان الأنيق الذى يجلس فيه ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، ويغمغم :

- عظيم .. كل شىء يسير على ما يرام .. يا لى من عبقرى !.. الواقع أننى أبهر نفسى فى بعض الأحيان .

ونهض من مكانه واتجه فى هدوء إلى كابينة الهاتف العام ، وهو يلقى نظرة على القنينة الصغيرة ، التى ثبتها إلى قاعدة المنضدة ، التى كان يجلس إليها ، وألصق على جدارها الخارجى مفجرًا دقيقًا موقوتًا ، وغمغم ساخرًا :

- دعونا نقارن عبقريتى بعبقريتكم هذه المرة يا فريق (نور) المتميز .

غمغم بالعبارة ، وأطلق ضحكة خافتة ساخرة ، قبل أن يدلف إلى كابينة هاتف الفيديو ، ويضغط أزرار الهاتف ، وعدّل رباط عنقه فى اهتمام ، وهو يضغط ياقة قميصه ؛ ليزيل الوجه الهولوجرافى ، ويبرز ملامحه الأصلية ، قبل أن يبدأ الاتصال ، وتظهر صورة على شاشة هاتف الفيديو ، فى حجرة الفريق ، ويقول :

- لقاء جديد أيها العباقرة .. أراهن على أنكم تتشوقون لرؤيتى ، بعد أن اختفيت عنكم لعدة ساعات ، بعد حادث (أميرة النيل) .

أجابه (نور) فى سخرية :

- أتقصد الحادث الذى منعنا حدوثه ؟!

انعقد حاجبا الدكتور (هاشم) ، وهو يقول فى غضب :

- بل أقصد ذلك الذى سمحت لكم بمنع حدوثه .

أطلق (نور) ضحكة ساخرة عالية مستفزة ، وهو يقول :

- سمحت لنا بمنع حدوثه ؟! أجاد أنت يا رجل ، أم أن روح السخرية فى أعماقك قد زادت عن حدها ، فانقلبت

إلى ضدها ؟! كن واقعيًا وصادقًا مع نفسك يا دكتور (هاشم) .. لقد تفوّقنا عليك فى الجولة السابقة .

غمغمت (سلوى) ، وهى تتابع الاتصال فى اهتمام ، عبر القمر الصناعى الأوروبى الثانى :

- عشر ثوان أخرى يا (نور) .. واصل الحديث معه لعشر ثوان أخرى ، وسأحدّد موقعه بالضبط .

قالتها والدكتور (هاشم) يجيب (نور) فى غضب شديد :

- لا أحد يمكنه التفوّق علىّ أيها المقدّم .. أنا الأكثر براعة وعبقرية .. وهذه الجولة ستثبت لكم هذا ..

هزّ (نور) كتفيه فى استهتار ، قائلاً :

- هل تعتقد هذا ؟

أجابه الرجل فى حدة :

- بل أنا واثق تمام الثقة أيها المقدّم .. واثق من قدرتى على التهامكم جميعًا ، قبل مطلع شمس الغد .

ثم التقى حاجباه ، وتألّقت عيناه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يضيف :

- وهذا يكفى هذه المرة .

قالها ، وقطع الاتصال بغتة ، فهتف (أكرم) :

- يا للوغد !.. إنه لم يمنحنا شيئًا هذه المرة .

وهتفت (سلوى) فى حنق :

- رباه !.. كنت أحتاج إلى ثانية إضافية لكشف موقعه .. لقد أفسد عملى كله بسبب ثانية واحدة .

سألها (نور) فى توتّر :

- ألم يمكنك تحديد منطقة الاتصال على الأقل ؟!

أجابته فى ضيق :

- بلى يا (نور) .. أمكننى تحديد المنطقة فحسب ، وليس مكان الاتصال بالتحديد .. كنت أحتاج إلى ثانية إضافية .

أما (نشوى) ، فالتفت إلى زوجها (رمزى) ، قائلة فى عصبية :

- نظريتك لم تكن صحيحة يا (رمزى) .. إنه لم يمنحنا أية معلومات عن مكان وزمان الضربة القادمة .

امتقع وجه (رمزى) ، وهو يقول :

- ولكن هذا مستحيل ، ولا يتفق قط مع طبيعته النفسية .. لا يمكن أن يشعر بانتصاره ، أو يزهو به فى أعماقه ، ما لم ينذرنا أوّلاً .. ربما يغفل تحديد زمن الضربة ، زيادة فى صعوبة الموقف وتعقيده ، ولكنه سيقودنا حتمًا إلى المكان .. إنه يحتاج إلى هذا ، وإلا فقدت اللعبة رونقها ومتعتها .

قال (أكرم) فى عصبية :

- ينبغى أن تراجع معلوماتك النفسية يا خبيرنا الهمام ، فمن الواضح أنها لم تثمر هذه المرة .

أجابه (رمزى) فى حدة :

- مستحيل !.. التقييم النفسى لا يخطئ أبدًا .

همّ (أكرم) بقول شيء آخر ، ولكن (نور) تدخّل ، قائلاً فى حزم :

- أنا أثق تمامًا بتحليلات (رمزى) النفسية ، وليست لدى ذرة واحدة من الشك فى أنه على حق .

تمتم (رمزى) :

- أشكرك يا (نور) .

أجابه (نور) فى حسم :

- كلامى لا يحتمل لمحة مجاملة واحدة يا (رمزى) ؛ فقد اخترتك للعمل فى فريقى ، بعد بحث وتدقيق شديدين ، ولقد كنت ، وما زلت أفضل خبير نفسى عرفته ، فى حياتى كلها ، ثم إننى واثق من أنك على حق هذه المرة .

ثم رفع عينيه إلى وجوه رفاقه ، مستطردًا :

- راجعوا معى ما قاله خصمنا ، فى كلماته القليلة .. لقد أخبرنا أنه قادر على التهامنا ، قبل مطلع الشمس ..

لاحظوا هذا .. الالتهام ، ومطلع الشمس .. لو أردتم رأيى ، فهدفه هذه المرة عبارة عن مطعم شهير ، يرتبط اسمه بالشمس .

تألّقت عينا (نشوى) ، وهى تهتف :

- إننى أعرفه ، دون الحاجة لمراجعة الكمبيوتر .. إنه مطعم (الشروق) .. أفضل مكان دعانى إليه (رمزى) ، لتناول طعام الغداء ، منذ زواجنا .

التفت (نور) إلى (سلوى) ، يسألها فى لهفة :

- أيقع مطعم (الشروق) فى منطقة الاتصال ؟

أجابته فى حماس ، وهى تشير إلى الشاشة :

- نعم يا (نور) .. ها هو ذا .

لم ينتظر (نور) لتتم حتى عبارتها ، وإنما هتف ، وهو يعدو خارجًا :

- هيا بنا يا (أكرم) .

انطلق (رمزى) خلفهما ، قائلاً :

- سأصحبكما هذه المرة .

قفز الثلاثة فى سيارة (أكرم) ، التى انطلق بها على الفور ، وهو يقول فى صرامة :

- كم أتمنى أن نعثر على ذلك الوغد هناك ، حتى أنسف رأسه بمسدسى .

أجابه (نور) بسرعة :

- إياك أن تفعل .. لو عثرنا عليه فسنبذل قصارى جهدنا للايقاع به حيًا .. من يدرى ؟!.. ربما اتخذ من الاحتياطات ما يهدّد أمننا كله بالخطر ، فى حالة موته .

مطّ (أكرم) شفتيه مغمغمًا :

- دائمًا هناك مبررات لإفساد الأمور يا (نور) ، ودائمًا ماتـ ....

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على فريق من رجال القوات الخاصة العسكرية ، يعترض الطريق ، وضغط فرامل سيارته ، وهو يهتف فى حنق :

- ما هذا بالضبط ؟

انعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وهو يبرز هويته الرسمية لقائد فريق القوات الخاصة ، قائلاً :

- المقدّم (نور الدين) ، من المخابرات العلمية .. أفسحوا الطريق ، فأمامنا مهمة عاجلة وبالغة الخطورة .

ألقى الرجل نظرة على الهوية ، وغمغم فى سخرية :

- المقدّم (نور الدين) .. آه .. كنا فى انتظارك .

ومع آخر حروف كلماته ، ارتفعت فوهات المدافع الليزرية فى وجوه (نور) و (أكرم) و (رمزى) ..

وتكهرب الموقف كله ..

وبعنف .

★ ★ ★

٧ - الحرب ..

نهض الدكتور (سمير حافظ) ، خبير الفيروسات ، العالمى ، من أمام المجهر الإليكترونى ؛ ليستقبل الدكتور (مجدى خليل) فى حرارة ، ويصافحه قائلاً :

- حمدًا لله على سلامتك يا دكتور (مجدى) ، ومرحبًا بك فى إدارة البحث العلمى .. إننا ننتظرك على أحر من الجمر .

أجابه الدكتور (مجدى) فى إرهاق واضح ، وهو يلقى جسده المجهد على أقرب مقعد إليه :

- صدقنى يا دكتور (سمير) ، لم يكن بإمكانى الحضور بأسرع من هذا .. لقد كنت ألقى محاضرتى فى جامعة (فيروجينا) ، وأستعدّ لمواصلة بعض الأبحاث المشتركة ، مع زميلى الدكتور (حلمى السراجى) هناك ، عندما فوجئت برجال الشرطة الفيدرالية يقتحمون مدرج المحاضرات ، ويخبروننى أننى مطلوب للسفر إلى (القاهرة) فورًا ، ودون إضاعة لحظة واحدة ، حتى أننى غادرت الجامعة إلى المطار ، حيث انتظرتنى طائرة خاصة ، حملتنى إلى مطار (القاهرة)

مباشرة ، دون أن أحزم حقائبى ، أو أحضر سوى أسطوانات الكمبيوتر المدمجة ، التى تحوى أبحاثى فى مجال حماية الخلايا الكبدية من الإصابة بفيروس (٢) .

خلع الدكتور (سمير) منظاره الطبى ، وهو يقول :

ـ الأمر جد خطير يا دكتور (مجدى) ، فنحن نعمل طوال الوقت ، فى محاولة لإيجاد مصل واق ، أو علاج شاف من الإصابة بفيروس مخلَّق جديد ، أطلق عليه مبتكره اسم (هشيم) ، له نفس خاصية فيروس (٢) ، من حيث انتقاء الخلايا الكبدية ، ومهاجمتها بلا رحمة ، ولكن هذا الفيروس الجديد يهاجم بشراسة منقطعة النظير ، وفترة حضانته لا تزيد على دقائق معدودة ، تبدأ بعدها خلايا الكبد فى امتصاص سوائل الجسم بشراهة مخيفة ، فيتضخم حجمها عشرات المرات ، ثم تنفجر ..

انتفض جسد الدكتور (مجدى) مع الكلمة الأخيرة ، واتسعت عيناه ، وهو يتراجع فى شىء من الارتياع ، هاتفًا :

ـ يا للبشاعة ! ومن عمل على تطوير شىء كهذا .

تنهَّد الدكتور (سمير) فى أسف ، قائلاً :

ـ العالم ملىء بالمجانين والوحوش يا صديقى .

وعاد يرتدى منظاره ، وهو يتابع فى شىء من الحيرة :

ـ الأمر الذى يدهشنى هو أن عملية تخليق الفيروسات الجديدة ، تحتاج إلى اعتمادات مالية هائلة ، ومن المستحيل أن يقوم بها شخص منفردًا .

مال الدكتور (مجدى) نحوه ، قائلاً :

ـ أتعنى أنه كانت هناك جهة ما خلف صانع الفيروس الجديد ؟! أعنى من ناحية الاعتمادات والتمويل ؟!

بدا الحذر على وجه الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

ـ أنا لم أقل هذا .

وتراجع فى مقعده ، مستطردًا فى سرعة ، وكأنه يحاول تغيير دفة الحديث :

ـ المشكلة أننا لا نستطيع إنتاج المصل المضاد بالسرعة المناسبة ، فالشخص الذى صنع الفيروس (هشيم) منح الدولة مهلة محدودة ؛ للموافقة على طلباته ، وإلا عمل على نشر الفيروس فى (مصر) كلها ، وفى العالم أجمع بالتالى ، ولم يتبق من هذه المهلة سوى نصفها .. اثنتى عشرة ساعة فحسب ..

وأعتقد أن أفضل ما نفعله هو تطوير عقارك ، الذى يمنع الفيروسات من اختراق الخلايا الكبدية .

أومأ الدكتور (مجدى) برأسه متفهمًا ، ثم نهض يخلع سترته ، قائلاً :

- فليكن .. كنت أنوى الحصول على قدر من الراحة ، قبل بدء العمل ، ولكن ما دام الوقت قليلاً ومحدودًا إلى هذا الحد ، فلنبدأ على الفور .. هيا على بركة الله .

انهمك كلاهما فى العمل ، ولكن تلك الفكرة المغلقة لم تنجح فى مغادرة عقل الدكتور (سمير) قط ..

من وراء تخليق الفيروس (هشيم) ؟!

من ؟!

★ ★ ★

كان الموقف عجيبًا بحق ، عند ناصية الطريق ، على مسافة كيلومتر واحد من مبنى إدارة المخابرات العلمية المصرية ..

ولم يكن هناك ما يكفى من الوقت ، حتى لمناقشة الأمور من الناحية الرسمية والقانونية ..

وفى غضب عصبى ، قال (نور) لضابط القوات الخاصة ، الذى يشهر مدفعه الآلى فى وجهه :

- ماذا هناك يا رجل ؟! كيف تجرؤ على اعتراض طريق ضابط بالمخابرات العلمية فى أثناء قيامه بمهمة رسمية .

أجابه الضابط فى سخرية صارمة :

- لا شأن لى بالمخابرات العلمية أو الأدبية .. إننى أتلقَّى أوامرى من جهة واحدة ، وهى وزارة الدفاع ، وتلك الأوامر تحتم منعك من مغادرة المنطقة ، حتى إشعار آخر .

صاح (أكرم) فى غضب :

- ستدفع ثمن هذا المنع غاليًا يا رجل ، عندما نبلغ المسئولين عما فعلته ، وعندما يعرفون ما ترتَّب على حماقتك من نتائج .

ابتسم الضابط فى سخرية أكثر ، وهو يلتقط جهاز الاتصال الصغير من حزامه ، ويمدّ يده به إلى (أكرم) ، قائلاً :

- هل ترغب فى الاتصال بالمسئولين ؟! فليكن .. ها هو ذا جهاز الاتصال بى فقط اضغط الزر الأزرق ، وسيتمّ الاتصال على الفور .

احتقن وجه (أكرم) فى غضب ، ولكن (نور) ربَّت على كتفه ، قائلاً :

- لاتفقد السيطرة على أعصابك يا صديقى ، فهذا ما يسعون إليه بالضبط .. ولتعلم أن الاتصال بالمسئولين لن يفيد ، فلن يصدر قرارهم قبل عشر دقائق على الأقل ، وسنكون قد فقدنا الفرصة عندئذ .

قال (أكرم) فى حدة :

- وماذا تقترح ؟! أن نقف هنا ساكنين ، ونترك ذلك الوغد يفجّر قنبلته الفيروسية فى مطعم (الشروق) ؟! هيا يا (نور) .. فريق القوات الخاصة هذا يتكوّن من خمسة أفراد فحسب .

أطلق الضابط ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول :

- هل تفكرّ فى مهاجمتنا يا رجل ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

- هذا يعتمد على نقطة مهمة للغاية .

تلاشت سخرية الضابط ، مع عبارة (نور) الصارمة ، وتحرّكت يده فى توتر إلى مسدسه الليزرى ، المعلّق بغمده ، وهو يسأله فى حذر :

- أية نقطة ؟!

تجاهله (نور) تمامًا ، وهو يلتفت إلى (رمزى) ، ويسأله :

- هل تعرف موقع (الشروق) ؟

أدرك (رمزى) و (أكرم) على الفور ما يعنيه (نور) ، فتألقت عينا الأخير ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ماكرة ، فى حين غمغم الأوّل ، وهو يمسك مقبض الباب :

- بالتأكيد يا (نور) .

ابتسم (نور) فى ارتياح ، قائلاً :

- فى هذه الحالة ..

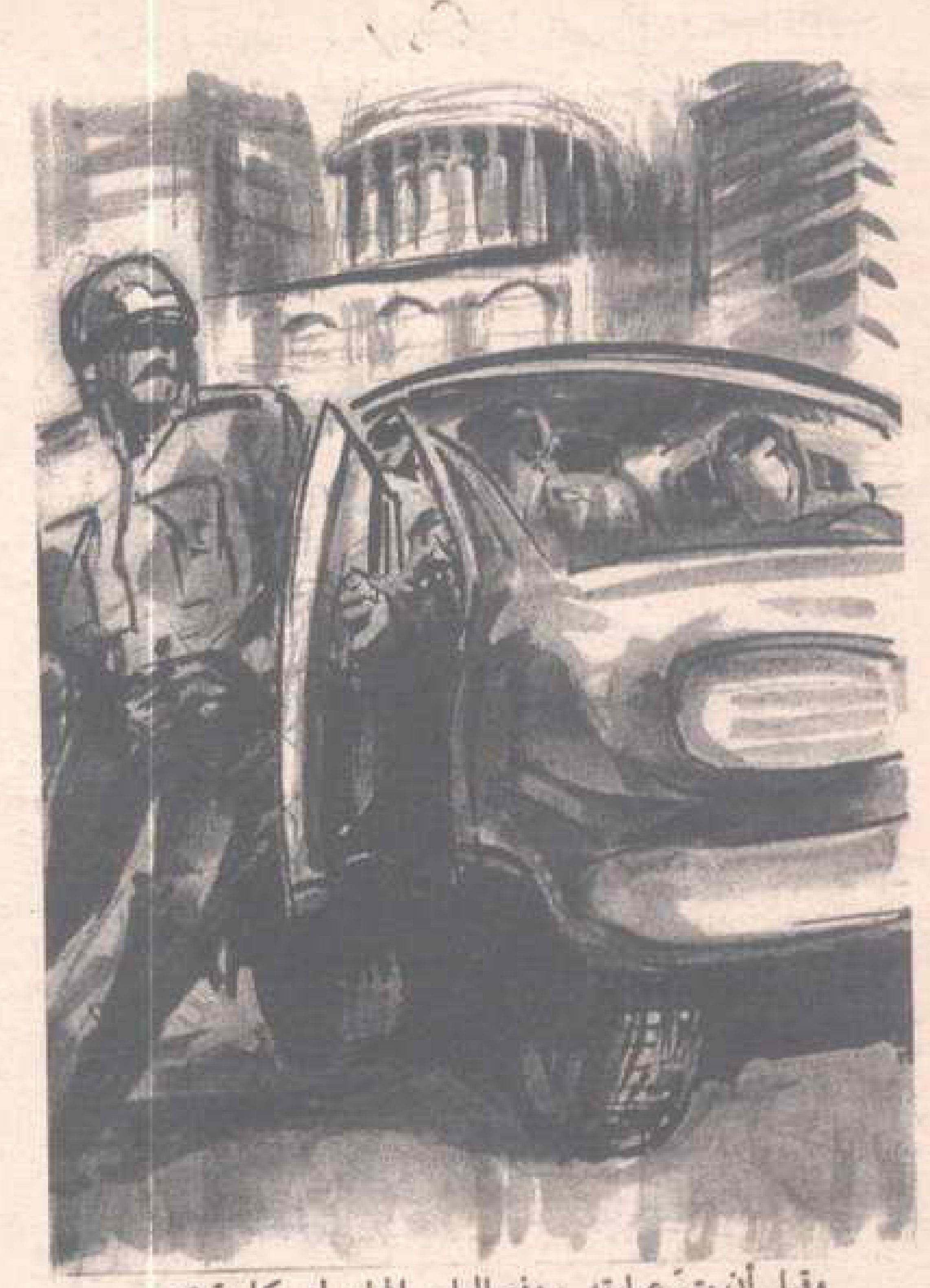
وقبل أن يتمّ عبارته ، دفع الباب المجاور له بكل قوته ، فى وجه الضابط ، ثم قفز من السيارة ، ولكمه لكمة مباشرة فى أنفه ، هاتفًا :

- الآن يا (رمزى) .

دفع (رمزى) باب السيارة ، وانطلق يعدو خارجها بكل قوته ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (أكرم) خارج السيارة ، واستلّ مسدسه بسرعة البرق ، هاتفًا :

- من حسن حظكم يا رجال ، أن القائد (نور) يجبرنا على تفادى القتل والإصابات الحادة .

وانطلقت رصاصات مسدسه ، لتنسف أنبوبة الليزر ، فى مدفع أحد الرجال ، فى نفس اللحظة التى انقضّ فيها الضابط على (نور) ، وأنفه ينزف دمًا ، وصاح فى غضب :



وقبل أن يتمّ عبارته ، دفع الباب المجاور له بكل قوته ، في وجه الضابط ، ثم قفز من السيارة ..

- أطلقوا النار يا رجال .

وأطلق الرجال أشعة الليزر ، فى نفس الوقت الذى التحم هو فيه مع (نور) ، و ....

واحتدمت المعركة ..

بشدة ..

★ ★ ★

تألّقت عينا وزير الدفاع بشدة ، وكاد يقفز من خلف مكتبه ، من فرط الانفعال ، وهو يقول لمساعده :

- مطعم (الشروق) ؟! هل قالوا : إنه سيضرب ضربته القادمة فى مطعم الشروق ؟!

أومأ المساعد برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم يا سيّدى الوزير ، ولقد نفذت الخطة التى اقترحتها فخامتكم بحذافيرها ، وأرسلت فريقًا من قواتنا الخاصة ؛ لاعتراض طريق المقدّم (نور) ورفاقه ، ومنعهم من الوصول إلى المكان قبلنا ، ونحن ننتظر أوامرك ، لنبدء خطة الهجوم .

نهض الوزير من خلف مكتبه ، قائلاً فى حماس بالغ :

- لا تضيع لحظة واحدة يا رجل .. ارسل فرقة من رجالنا لمحاصرة المطعم ، وإخلائه ، وفريق تطهير من

السلاح الطبى ، مع خبراء المفرقعات ، ورجال مكافحة الإرهاب ..

أدىَّ المساعد التحية العسكرية ، هاتفًا :

ـ كما تأمر يا سيادة الوزير .

واستدار استعدادًا للانصراف ، وتنفيذ الأمر ، ولكن الوزير استوقفه ، قائلاً :

ـ مهلاً يا رجل .

التفت إليه المساعد بسرعة ، فتابع الوزير فى حماس :

ـ هذا لا يكفى .. أريد إنهاء العملية على نحو يبهر السيِّد رئيس الجمهورية ، ومجلس الوزراء والشعب كله ؛ لذا فسنقوم بحصار المنطقة كلها ، فى دائرة يبلغ نصف قطرها كيلو متر كامل ، فمن الواضح أن ذلك الرجل يظل بالقرب من مسرح الجريمة ، حتى يشاهد بنفسه نتائج عمله ، وسنحاصره ونوقع به ، وننهى العملية على نحو درامى .. أرسل حوامات لفحص منطقة الحصار ، ونقاط تفتيش قوية ، بحيث لا تنجح نملة واحدة فى دخول المكان أو الخروج منه .

أدى المساعد التحية العسكرية ثانية ، وقال :

ـ أمرك يا سيِّدى الوزير .

هتف به الوزير فى انفعال :

ـ هيا .. انطلق يا رجل .. ماذا تنتظر ؟! الوقت من ذهب .

انطلق المساعد لتنفيذ الأمر ، فى حين عاد الوزير إلى مقعده ، وتألَّقت عيناه مرة أخرى ، وهو يقول لنفسه :

ـ وهكذا سترى أيها المقدَّم المتحذلق كيف يكون العمل ..

وعادت عيناه تتألقان ..

وتتألقان ..

وتتألقان ..

★ ★ ★

تطلعت (نشوى) عبر النافذة الرئيسية ، لحجرة الفريق ، إلى ساحة مبنى المخابرات العلمية طويلاً فى صمت ، قبل أن تتمتم :

ـ لست أدرى لماذا أشعر بالقلق هذه المرة ، وكأنهم ذاهبون إلى المواجهة الأخيرة ؟!

أجابتها أمها ، وهى تواصل عملها على الكمبيوتر فى اهتمام بالغ :

ـ لأن زوجك خرج معهم .

التفتت إليها (نشوى) ، قائلة فى استنكار :

- ماذا تقولين يا أمى ؟! أتتصوّرين أن خوفى على (رمزى) يفوق خوفى على أبى .

أجابتها (سلوى) ، وهى منهمكة فى عملها :

- بالتأكيد .

هتفت (نشوى) :

- ولكنك تعلمين كم أحب أبى .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (سلوى) ، وهى تتطلّع إلى شاشة الكمبيوتر ، قائلة :

- لا تعارض بين هذا وذاك .. أنت تحبين والدك ، ولكن زوجك يمثّل فى أعماقك الأمل ، والحب ، والحياة ، والمستقبل .. ثم إنه والد ابنك ، ومن الطبيعىّ أن يكون ارتباطك به أكثر قوة من ارتباطك بوالدك ، مع حبك لكليهما ..

انعقد حاجبا (نشوى) ، وكأنما لا يروق لها هذا المنطق ، وتطلّعت بضع لحظات إلى أمها ، المنهمكة فى عملها ، قبل أن تسألها :

- ما الذى يشغلك إلى هذا الحد يا أمى ؟

أجابتها (سلوى) فى توتر ملحوظ :

- فشلى فى تحديد مصدر الاتصال يثير حيرتى وقلقى يا (نشوى) ، خاصة وقد بذلت قصارى جهدى من أجل هذا ، مع خبرتى السابقة ، التى لا يُستهان بها ، ولكنْ هناك شىء ما يعوق إشاراتى ، أو يتعارض معها ، وأنا أحاول تحديد هذا الشىء .

بدا القلق على وجه (نشوى) ، وهى تتجه إليها ، وتسألها فى اهتمام :

- ما الذى تتوقعينه ؟!

أشارت (سلوى) إلى الشاشة ، وهى تواصل عملها ، قائلة :

- الأمر تجاوز مرحلة التوقعات يا (نشوى) .. لقد بدأ جهازى فى تحديد ذلك الشىء .. إنه شعاع ليزر خاص بالتنصّت .

ارتفع حاجبا (نشوى) ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تقول :

- ليزر تنصّت ؟!.. يا إلهى !.. أتعنين أن أحدهم يتنصّت على أحاديثنا يا أمى .

أجابتها (سلوى) :

- ليس أحدهم يا (نشوى) ، بل بعضهم ، فالشعاع المتنصّت تجاوز الشفرة الدفاعية ، التى تحيط بالمبنى ،

وتمنع كل وسائل المراقبة والتنصُّت من بلوغه ، وهذا لا يمكن أن يحدث ، إلا إذا كان بعضهم يعرف الشفرة ، التى تتكوَّن من دستة من الرموز ، وهذا لا يتأتَّى إلا لعدد يعدّ على أصابع اليد الواحدة ، من القادة والمسئولين فى (مصر) كلها .

غمغمت (نشوى) فى ارتياع :

- رباه !.. حديثك هذا بالغ الخطورة يا أماه .

ضغطت (سلوى) أزرار الكمبيوتر الخاص بالتتبُّع ، وهى تقول :

- بالتأكيد يا (نشوى) ، ولكنه صحيح ، والشعاع المتنصِّت قوى ، حتى إنه لا يمكن أن ينشأ إلا عن ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى غضب ، فى حين هتفت (نشوى) ، وهى تحدِّق فى شاشة الكمبيوتر :

- لقد أوقفوا عمل شعاع التنصُّت .

أجابتها (سلوى) فى حنق :

- أمر طبيعى ، فهم يستمعون إلينا ، ويعلمون الآن أننا كشفنا أمرهم ، لذا فقد أوقفوا الشعاع ، حتى لا يمكننا تعقُّبهم .

هتفت (نشوى) :

- يا للأوغاد !

ولكن (سلوى) ابتسمت فجأة ، قائلة :

- ولكننى أعرف من أين أطلقوا شعاعهم .

قفزت (نشوى) من مقعدها ، هاتفة :

- حقًّا ؟!

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وقالت :

- نعم .. لقد توصَّلت إلى معرفة مصدر التنصُّت ، قبل لحظة واحدة من إيقافهم للشعاع .

سألتها (نشوى) فى لهفة :

- وما هو يا أمى ؟! ما هو ؟!

تطلَّعت إليها (سلوى) لحظة فى صمت ، قبل أن تعتدل مجيبة فى حزم :

- القمر العسكرى (م ح ١٤) ، لوزارة الدفاع المصرية .

تراجعت (نشوى) كالمصعوقة ، وهى تهتف فى ارتياع :

- وزارة الدفاع ؟! ماذا تقولين يا أماه ؟! وزارة الدفاع تتجسَّس علينا ؟! ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

زفرت (سلوى) فى حرارة ، مغمغمة :

- لا يمكنك أبدًا فهم هذه الأمور ، فالقائمون على وضع السياسات العامة لهم أسلوب تفكير يختلف تمامًا عن أسلوب تفكيرنا البسيط المباشر .

انعقد حاجبا (نشوى) فى صرامة ، وهى تقول :

- الخيانة هى الخيانة ، مهما اختلفت صورها .

نطقت عبارتها الصارمة ، ثم اتجهت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وأشعلته فى حزم جعل أمها تسألها :

- ماذا ستفعلين ؟

أجابتها ، وأصابعها تبدأ عملها على جهاز الكمبيوتر :

- أبحث عن سبب توتر العلاقة ، بيننا وبين وزارة الدفاع ، فى هذه العملية بالذات .

سألتها (سلوى) ، وهى تنتقل إلى جوارها :

- وما الذى تتوقعينه ؟!

أجابتها (نشوى) فى حزم :

- علاقة ما .

أطلّ تساؤل حائر من عينى (سلوى) ، فتابعت (نشوى) بحزم أكثر :

- علاقة بين وزارة الدفاع وإدارة الأبحاث العلمية .

وانعقد حاجباها فى حزم صارم ، وهى تواصل عملها

فى مهارة ، و (سلوى) تتابع الشاشة فى شغف واهتمام ..

لم تكن هناك أية علاقات مباشرة واضحة ، ولكن (نشوى) انتقلت من الخطوط المباشرة إلى الفرعيات ، وراحت تبحث عن دلائل خفية غير مباشرة ..

وتبحث ..

وتبحث ..

وأخيرًا ، برزت بعض المعلومات على شاشة الكمبيوتر ..

واتسعت عيون (سلوى) و (نشوى) عن آخرها .

لقد كانت هناك علاقة بالفعل ، بين وزارة الدفاع وإدارة الأبحاث العلمية ..

وكانت طبيعة هذه العلاقة مدهشة ..

مدهشة إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

انقضّ ضابط القوات الخاصة على (نور) فى غضب ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها اثنان من رجاله أشعة مدافعهما الليزرية نحو (نور) ، واستدار الثالث ليقتنص (رمزى) بأشعته ..

وصرخ (أكرم) ، وهو يطلق رصاصة من مسدسه ، نحو الرجل الثالث :

- احترس يا (رمزى) .

قفز (رمزى) بحركة آلية ، فى نفس اللحظة التى أصابت فيها رصاصة (أكرم) مدفع الرجل ، وأطاحت به بعيدًا ، فانطلق (رمزى) يواصل عدوه مبتعدًا ، واستقبل (نور) مهاجمه بلكمة ساحقة فى فكه ، فى حين انطلقت أشعة مدفعى الرجلين الآخرين نحو (أكرم) .

وانحنى (أكرم) فى سرعة ، ولكن سرعته لم تكن لتبلغ قط سرعة شعاع من الليزر ، لذا فقد شعر بآلام مبرحة فى صدره وذراعه ، قبل أن يسقط داخل السيارة ، هاتفًا :

- اللعنة !.. لقد أصابانى يا (نور) .

سمع (نور) عبارته جيدًا ، ولكنه كان يشتبك مع الضابط فى عنف ، فهتف :

- تماسك يا (أكرم) .. تماسك يا رجل .

أدرك رجال القوات الخاصة الأربعة أن (نور) أقوى من ضابطهم ، وأكثر حنكة وبراعة ، وخاصة عندما شاهدوه يتفادى لكمة قوية منه ، ثم يلتقط ساعده ، ويديره بحركة قوية بارعة ، فيدور ضابطهم حول نفسه

فى الهواء ، ويسقط على ظهره فى قوة ؛ لتستقبله ركلة من قدم (نور) فى فكه ، وهو يقول فى أسف :

- معذرة .. أنت اضطررتنى لهذا .

كانت الركلة قوية للغاية ، حتى إنها أفقدت الضابط وعيه ، فصرخ أحد جنوده فى غضب :

- كيف تجرؤ أن ؟!

ورفع فوهة مدفعه نحو (نور) ، و ....

وانطلق (أكرم) بالسيارة بغتة ..

انطلق بها بغتة ، ودون سابق إنذار ، فى وجوه الرجال الأربعة ، قبل أن تنطلق من أحدهم دفقة أشعة واحدة ، فتراجعوا فى فزع ، وأطلق أحدهم أشعته نحو (أكرم) ، هاتفًا :

- خذها منى يا رجل .

اخترقت الأشعة زجاج السيارة ، واحتكت بعنق (أكرم) ، فاندفعت منه الدماء فى غزارة ، وهو يواصل اندفاعه نحوهم ، هاتفًا فى غضب :

- وخذها أنت أيضًا منى أيها الوغد .

ارتطم باثنين من الأربعة ، وأطاح بهما جانبًا ، فانقضّ عليه الآخران فى غضب ، ولكن (نور) ظهر أمامهما بغتة ، وهو يقول فى صرامة :

- هذا يكفى .

تجمّد الرجلان فى مكانيهما ، وعيونهما تحدّق فى مسدس الليزر القوى ، الذى يصوّبه (نور) إليهما ، فى حين هتف هو فى عصبية شديدة ..

- تلك الحرب السخيفة بيننا أضاعت وقتًا ثمينًا للغاية ، لو أدركتما قيمته لقتلتما نفسيكما ندمًا .. هذا بالإضافة إلى المحاكمة العسكرية ، التى تنتظركما جزاء ما فعلتماه .

قال أحدهما فى توتر بالغ :

- إننا ننفذ الأوامر فحسب .

صاح (نور) فى حدة :

- ادخرا دفاعكما لساعة المحاكمة .

وتراجع نحو السيارة ، مستطردًا :

- (أكرم) .. كيف حالك ؟! (أكرم) .. ألأنت بخير ؟!

لم يتلقَ جوابًا من زميله ، فاستدار إليه فى توتر ، واتسعت عيناه فى هلع ، عندما رآه ملقى على مقعد السيارة ، وسط بركة من الدم ، فصرخ فى ارتياع :

- رباه !.. (أكرم) .

ثم اختطف جهاز الاتصال الصغير من جيبه ، وصاح عبره :

- هنا المقدّم (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية .. أريد حوّامة إسعاف ، وسيارة شرطة عسكرية على الفور .. أسرعوا بالله عليكم .. الموقف شديد الخطورة .

وحددّ موقعه بالضبط ، قبل أن يعيد جهاز الاتصال إلى جيبه ، ويصيح فى الرجلين :

- لو أصاب زميلى أى مكروه ، من جراء ما فعلتماه به ، فأقسم أن تدفعا الثمن غاليًا .. غاليًا جدًا .

قالها ، وألقى نظرة على ساعته ، كاد يقضم شفته السفلى بعدها ، من فرط الغضب والغيظ والقهر ..

فتلك الحرب السخيفة ، بينه وبين رجال وزارة الدفاع ، أضاعت وقتًا بالغ الخطورة ، قد يكون من نتائجه أن تنفجر القنبلة الفيروسية فى المطعم ..

أو فى (مصر) كلها ..

★ ★ ★

انتهى الدكتور (هاشم) من محادثته مع (نور) ، وعاد إلى مائدته ، فى ركن مطعم (الشروق) الأنيق ، وتأكّد من وضع قنبلته الفيروسية ، ثم غمغم فى سخرية ، وقد استعاد قناعه الهولوجرامى الزائف :

- ترى كم من الوقت يحتاج إليه خصمى العبقرى ، لتحديد موضع الضربة الجديدة ؟!

كان واثقًا هذه المرة من أن ضربته ستؤدى إلى كارثة ، وأن (نور) ورفاقه لن يمكنهم منعها فى الوقت المناسب قط ؛ لذا فقد احتسى كوب عصير البرتقال الطازج فى هدوء ، ودفع حسابه نقدًا ، بعد أن توقف عن استخدام بطاقاته الائتمانية ، التى يسهل تعقبها ، و ...

وفجأة ، بدأ رجال الجيش هجومهم على المكان ..

وكانت مفاجأة عنيفة ، بالنسبة له ..

لقد حاصروا المنطقة فى سرعة ، وظهرت حوّاماتهم فى سماء المنطقة ، وبدأت إجراءات الحجر الصحى والتطهير ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها الجنود المكان ، وصاح قائدهم فى صرامة :

- غادروا المطعم .

تدافع رواد المطعم فى ذعر ؛ ليغادروا المكان ، فغمغم الدكتور (هاشم) فى غضب هادر :

- خطأ .. هذا خطأ .. المقدّم (نور) غيّر قواعد اللعبة ، بأسلوب يخلو من الأمانة .. لم يكن من المفترض أن يتدخل الجيش فى الأمر .

ارتفع صوت قائد فريق الجنود ثانية ، وهو يقول بصرامة أكثر :

- أسرعوا .. أمامكم نصف دقيقة فحسب لإخلاء المكان .

تضاعف غضب الدكتور (هاشم) ، مع هذا الأسلوب الخشن الجاف ، فترك قنبلته الفيروسية فى موضعها ، واختطف حقيبته الصغيرة ، واتجه بها إلى ركن الموسيقى فى المطعم ، ودفعها بين سماعتين كبيرتين ، ثم ضغط زرًا خفيًا فيها ، وهو يغمغم :

- إنهم يستحقون هذا .. يستحقونه تمامًا .

وأسرع يغادر المطعم مع آخر رواده ، ولم يكد يتجاوز بابه ، حتى اندفع خبراء المتفجرات داخله ، وهم يرتدون أزياء واقية خاصة ، وقائدهم يقول :

- ابحثوا عن قنينة صغيرة ، بها سائل مائل للزرقة .

تضاعف غضب الدكتور (هاشم) أكثر أكثر ..

كل هذا مخالف للقواعد فى رأيه ..

الجيش ما كان له أن يتدخل قط ..

الجيش بالذات ..

وفى الخارج ، فوجئ الدكتور (هاشم) بحصار آخر من رجال مكافحة الإرهاب ، الذين أحاطوا بالمكان ،

ورتبوا رواده المذعورين فى صفوف منتظمة ، لتفتيشهم ، ومراجعة هوياتهم ..

وامتزج الغضب بالثورة والخوف فى أعماقه ..

سيكشفون أمره حتمًا ، لو واصلوا تفتيشهم وبحثهم هذا ..

لمسة واحدة لوجهه ستكشف طبيعة قناعه الهولوجرامى ، وتفضح هويته الحقيقية ..

ولكن لا ..

لن يسمح بحدوث هذا أبدًا ..

لن يسمح لبعض البيروقراطيين بإفساد عمل عامين كاملين ..

إنه عبقرى ..

ولقد حانت لحظة إثبات هذا ..

وفى حزم ، ضغط زر جهاز تحكُّم لاسلكى ، فى أعماق جيبه ..

وانطلقت الإشارة إلى المؤقت الملتصق بقنينة الفيروس ، فى نفس اللحظة التى أشار فيها قائد الجنود إلى الداخل ، قائلاً لخبراء المتفجرات فى صرامة :

ـ فتشوا بالداخل .. من المؤكد أن ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، انفجرت القنينة ..

كان انفجارها مكتومًا كالمعتاد ، ولكن السائل داخلها انتشر فى مساحة واسعة للغاية هذه المرة ، فتناثر على وجوه الجنود ، وأجسادهم ، وعلى الأزياء الواقية لخبراء المتفجرات ..

ومن سوء حظهم أن تلك الأزياء لم تكن مؤهلة لمنع دخول الفيروسات ..

كانت أزياء واقية من المتفجرات فحسب ..

لذا ، فلم تقِ أحدهم من العدوى ..

ولكن أحدًا لم يدرك هذا على الفور ..

لقد تناثر السائل على الوجوه ، فران على المكان صمت رهيب ، استغرق لحظة واحدة ، قبل أن يهتف قائد الجنود :

ـ اللعنة !.. إنه الفيروس اللعين .

قالها ، واستدار محاولاً الفرار من المكان ، وذعر هائل يملأ قلبه ..

وهنا جاء دور رجال فرقة مكافحة الإرهاب ..

لقد انطلقت أشعة مدافعهم الليزرية تحصد القائد ، وجنوده ، وكل من يحاول مغادرة المكان ..

وتفجرت حالة ذعر هائلة ، لا مثيل لها ..

ذعر جعل الناس تنقضّ على رجال مكافحة الإرهاب ، بالرغم من المدافع الليزرية ، المصوّبة إلى صدورهم ، وخاصة عندما بدأت الأعراض في الظهور على المصابين ، داخل المطعم الأنيق ، ذى الجدران الزجاجية ، وراحت أكبادهم تنتفخ ، وتنتفخ ، وتنتفخ .. ثم تنفجر ..

ومع صرخات الألم الرهيبة ، والدماء التى تفجرّت من الأكباد الممزّقة ، والأجساد المنتفخة بشكلها المخيف ، بلغ الذعر مبلغه ، وسقط رجال مكافحة الإرهاب أمام المذعورين ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (رمزى) للمكان ، فاتسعت عيناه فى ارتياع ، وهتف :

- رباه ! لقد حقق الرجل هدفه ، وأثار أضخم موجة ذعر وفزع فى هذا القرن ، بعد ذعر الاحتلال(*).

كان الناس يعدون فى كل مكان ، من فرط الفزع والذعر ، ورجال مكافحة الإرهاب يواصلون إطلاق أشعة بنادقهم على كل من يحاول مغادرة المطعم ، و ..

وفجأة ، انفجرت قنبلة قوية للغاية ، داخل تلك الحقيبة ، التى أخفاها الدكتور (هاشم) بين السماعتين .

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (٧٦) .

قنبلة بلغ من قوتها أن نسفت المطعم بأكمله ، وانطلقت منها الشظايا لمسافات مخيفة ، فأصابت العشرات من الرواد الهاربين والمارة وحتى رجال مكافحة الإرهاب ..

رجل واحد ، لم يصب بسوء ، وسط دائرة الإصابات والموت ..

رجل واحد ، كان يعرف بالضبط موعد الانفجار ، فحمى جسده منه فى براعة تستحق التقدير ..

رجل يدعى (هاشم) ..

الدكتور (هاشم صدقى) ، الذى لم يغادر المكان إلا بعد أن وضع فيه بصمة .. بصمة الموت ..

* * *



٨ - الوقت يمضى ..

تعلقت عيون ملايين المشاهدين ، فى كل أنحاء العالم ، بشاشات أجهزة الهولوفيزيون ، التى نقلت صورة (مشيرة محفوظ) ، وهى تقف أمام حطام مطعم (الشروق) ، قائلة فى انفعال :

- للمرة الثالثة فى يوم واحد ، وفى أقل من أربع عشرة ساعة ، تحدث كارثة عنيفة فى (القاهرة) .. وللمرة الثالثة أيضًا يحيط رجال الحجر الصحى بموقع الكارثة ، ويرفض المسئولون الإدلاء بأية تصريحات عنها .. ولكن فى هذه المرة لم يكن من الممكن إخفاء الأمر ، وخاصة بعد تلك الحرب المحدودة ، التى شنها رجال الجيش على مطعم (الشروق) ، بقوات المشاة ، ومكافحة الإرهاب ، والحوّامات ، والسلاح الطبى ، وبعد عشرات الشهود ، الذين نجوا من الحادث ، ووصفوا ما شاهدوه من أحداث بشعة ، قبل الانفجار العنيف .. لقد شاهدوه جنودًا تنتفخ بطونهم ، ويصرخون بآلام رهيبة ، قبل أن ينفجروا ، وتتناثر دماؤهم فى كل مكان .. ما الذى يعنيه هذا أيها السادة ؟! ما تفسيره ؟! لماذا يلقى الكثيرون مصرعهم ، دون أن نعلم .. لماذا ؟!

تفجرت عيناها بالدموع ، عند هذه الفقرة ، حتى إنها توقّفت لحظة لتجفيفها ، ولتستعيد سيطرتها على مشاعرها ، قبل أن تتابع بصوت مختنق :

- كثيرون لقوا مصرعهم ، والأكثر أصيبوا بإصابات مختلفة ، ومنهم زوجى (أكرم) ، الذى يرقد الآن فى حجرة العناية المركزة ، دون أن يفصح المسئولون عن أى شىء .. من حقنا أن نعلم أيها السادة .. من حقكم أن تعرفوا ماذا يدور حولكم .. ما الذى يهدّدكم ، وكيف يمكنكم اتقاء شره .. من حقنا جميعًا أن نعرف ..

أغلق (نور) جهاز الهولوفيزيون ، عند هذه النقطة ، واستدار إلى الجالسين أمامه ، قائلاً :

- من الطبيعى أن يحقق الدكتور (هاشم) هذا الانتصار ، وأن يسبب موجة الذعر الرهيبة ، التى سادت البلاد ، ما دامت الأمور تدار بهذا الأسلوب ، فى هيئة الدفاع الوطنى المصرية .

عقد وزير الدفاع حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

- أى أسلوب تقصد أيها المقدّم ؟! ومن منحك الحق فى انتقاد السياسات العليا ؟!

واجهه (نور) فى حزم ، قائلاً :

- الأسلوب الذى أقصده هو ذلك الذى لجأت إليه أنت فى عرقلة عملنا ، يا سيادة وزير الدفاع .

احتقن وجه الوزير ، وهو يقول فى حدة :

- كيف تجرؤ أيها الـ ....

قاطعه رئيس الجمهورية فى صرامة غاضبة :

- دع الشاب يتحدث .. أريد أن أستمع إليه .

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردًا :

- أكمل أيها المقدّم .

احتقن وجه الوزير أكثر وأكثر ، وابتسم الدكتور (ناظم) ، فى حين عقد القائد الأعلى للمخابرات العلمية حاجبيه ، وهو يشير إلى (نور) ، قائلاً :

- لقد سمعت قول السيد الرئيس يا (نور) .. أكمل يا ولدى .. أكمل وهات كل ما لديك .

رمق (نور) وزير الدفاع بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

- الواقع أن السيد وزير الدفاع لم يتعامل مع الأمر كما ينبغى أن يفعل ، باعتباره أحد أعضاء مجلس الدفاع الوطنى ، وبدلاً من أن يساندنا ، أو يعمل جنبًا إلى جنب معنا ؛ لتفادى حدوث مثل هذه الكوارث ، وإعادة الأمور إلى نصابها ، راح يتحرك ضدنا ، معتبرًا

الأمر مجرد خلاف شخصى ، لابد وأن يثبت فيه تفوقه ، حتى إنه استخدم قمر التجسس العسكرى (م ح ١٤) ، ليتنصت علينا فى حجرة اجتماعاتنا متجاوزًا شفرة منع التنصت ، ومخالفًا كل قوانين وقواعد التعامل والتعاون ، بين أجهزة الأمن المختلفة ، فى حالات الخطر ، ثم تمادى فى الأمر ، فأرسل رجاله لمنعنا من بلوغ الهدف فى الوقت المناسب ، حتى يمكنه الوصول إليه قبلنا ، مما تسبب فى كل ما رأيتموه ، وما لم تروه بعد من خسائر .. الفضيحة ، وحالة الذعر العام ، التى سادت البلاد ، وانتشرت منها إلى الدول الأخرى ، ثم ، وهذا هو الأكثر خطورة فى الوقت الحالى ، الصفعة النفسية ، التى وجهها للدكتور (هاشم) ، الذى لم يمكنكم الإيقاع به ، على الرغم من الجيش الذى أحاط بالمكان ، فخبيرنا النفسى الدكتور (رمزى) ، يؤكد أن الدكتور (هاشم) سيتصور أننى المسئول عما فعله الجيش ؛ لأنه يعلم أن إسناد المهمة الأساسية إلىّ ، يمنحنى وحدى حق إصدار الأوامر ، وتوجيه كل القوات ، وسيملؤه هذا شعورًا بالغضب والثورة ، والرغبة فى تلقيننا درسًا لا ننساه ، وهذا يعنى أن هدفه القادم سيكون أكثر خطورة ، وسيعمل على أن يجعل من نتائجه كارثة حقيقية ، لم يعرف التاريخ مثلها .

قال الرئيس فى قلق بالغ :

- حتى لو نفذنا مطلبه ، وحوّلنا نصف مليار جنيه إلى حسابه ، فى ذلك البنك فى (سويسرا) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم يا سيادة الرئيس ، فالمال ليس هدفه الرئيسى ، كما نعلم جميعًا ، وإنما يستهدف بعمله هذا السطوة والسيطرة ، وفى شريعته ، يكون عقاب المخطئين هو قمة السطوة والسيطرة ، لذا فمن الضرورى أن يثبت لنا ، ولنفسه ، أنه قادر على معاقبتنا ، وهذا يحتم قيامه بعملية عنيفة ، تجعلنا نندم على محاولة الجيش للسيطرة عليه وإفساده عمليته .

انعقد حاجبا الرئيس ، وهو يقول :

- لقد تعقدت الأمور بالفعل .. يا إلهى .. هذا سيسىء إلى صورتنا كثيرًا ، فى كل المحافل الدولية .. الكل سيضعنا فى صورة الدولة غير الآمنة .. أنا واثق من أن الصحفيين سيطرحون علىّ عشرات الأسئلة حول هذا الأمر ، عندما ألتقى بهم الليلة ، فى المؤتمر الإعلامى .. يا للكارثة .

ثم التفت إلى وزير الدفاع ، مستطردًا فى غضب :

- وكل هذا لأنك ترغب فى بناء مجد شخصى .

أجابه وزير الدفاع فى عصبية :

- كنت أؤدى واجبى ، باعتبارى المسئول الأوّل عن مكافحة الإرهاب .

صاح به القائد الأعلى فى حدة :

- بل كنت تحاول أن تثبت أن جيشك أكثر كفاءة من جهاز المخابرات العلمية كله .

صاح وزير الدفاع :

- خطأ .. لم أكن أحاول إثبات هذا قط .

هتف به القائد الأعلى غاضبًا :

- هل يمكنك أن تقسم على هذا ؟

صاح وزير الدفاع :

- وبلا أدنى تردُّد .

كاد القائد الأعلى أن ينفجر فى وجهه ثانية ، لولا أن قال (نور) :

- إننى أصدّقك تمامًا ، يا سيادة وزير الدفاع .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وقال الدكتور (ناظم) :

- تصدّقه ؟!

أما الوزير ، فقال فى عصبية :

- أرأيتم .. وشهد شاهد من أهلها .

انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ مهلاً يا سيادة الوزير .. أنا أصدقك فى أنك لم تكن تحاول مجرد إثبات تفوق الجيش ، فالحقيقة أكبر من هذا .

امتقع وجه وزير الدفاع ، وهو يتطلع إلى عينى (نور) ، الذى أضاف بلهجة مخيفة :

ـ لقد كنت تسعى لقتل الدكتور (هاشم) .

ارتبك الوزير بشدة ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى ، فـ ...

قاطعه (نور) ، وهو يكمل فى صرامة :

ـ لتخفى حقيقة علاقتك به .

اتسعت عينا رئيس الجمهورية فى دهشة ، وحدق فى وجه وزير الدفاع ، الذى ازداد امتقاع وجهه ، وانكمش فى مقعده ، على نحو جعل الدكتور (ناظم) ينهض من مقعده ، ويتطلع إليه فى ذهول ، فى حين ردد القائد الأعلى غير مصدق :

ـ حقيقة علاقته به ؟!

وقال رئيس الجمهورية لوزير الدفاع فى عصبية :

ـ أحقًا ما يقول المقدم (نور) ؟

لبث الوزير صامتًا لنصف دقيقة كاملة ، والعيون كلها تتطلع إليه ، حاملة مزيجًا عجيبًا من الدهشة ،

والاستنكار ، والغضب ، والاتهام ، قبل أن يتنحنح ، قائلاً :

ـ لست أدرى من أين أتى المقدم (نور) بهذه الفكرة ..

نطق العبارة ليدافع عن نفسه ، ويدرأ عنها الاتهام ، إلا أن اللهجة التى نطقها بها ، وصوته المرتجف ، مع وجهه الممتقع ، نظراته الزائغة ، كانت كلها قرائن جديدة ، تزيد من عمق الاتهام ، وترفع حدة الغضب فى نفوسهم ..

ثم أطلق (نور) رصاصته الحاسمة ..

انطلقت من بين شفتيه ، وهو يدير عينيه فى وجوههم ، قائلاً فى حزم صارم واثق :

ـ أيها السادة .. يؤسفنى أن أبلغكم أن الدكتور (هاشم) لم يسع لتخليق فيروسه الرهيب من تلقاء نفسه ، لقد فعل هذا بتكليف رسمى .

قفزت الفكرة إلى رءوسهم ، وانتفضوا فى ارتياع ، قبل حتى أن يشير (نور) إلى الوزير ، مكملاً :

من السيد وزير الدفاع شخصيًا .

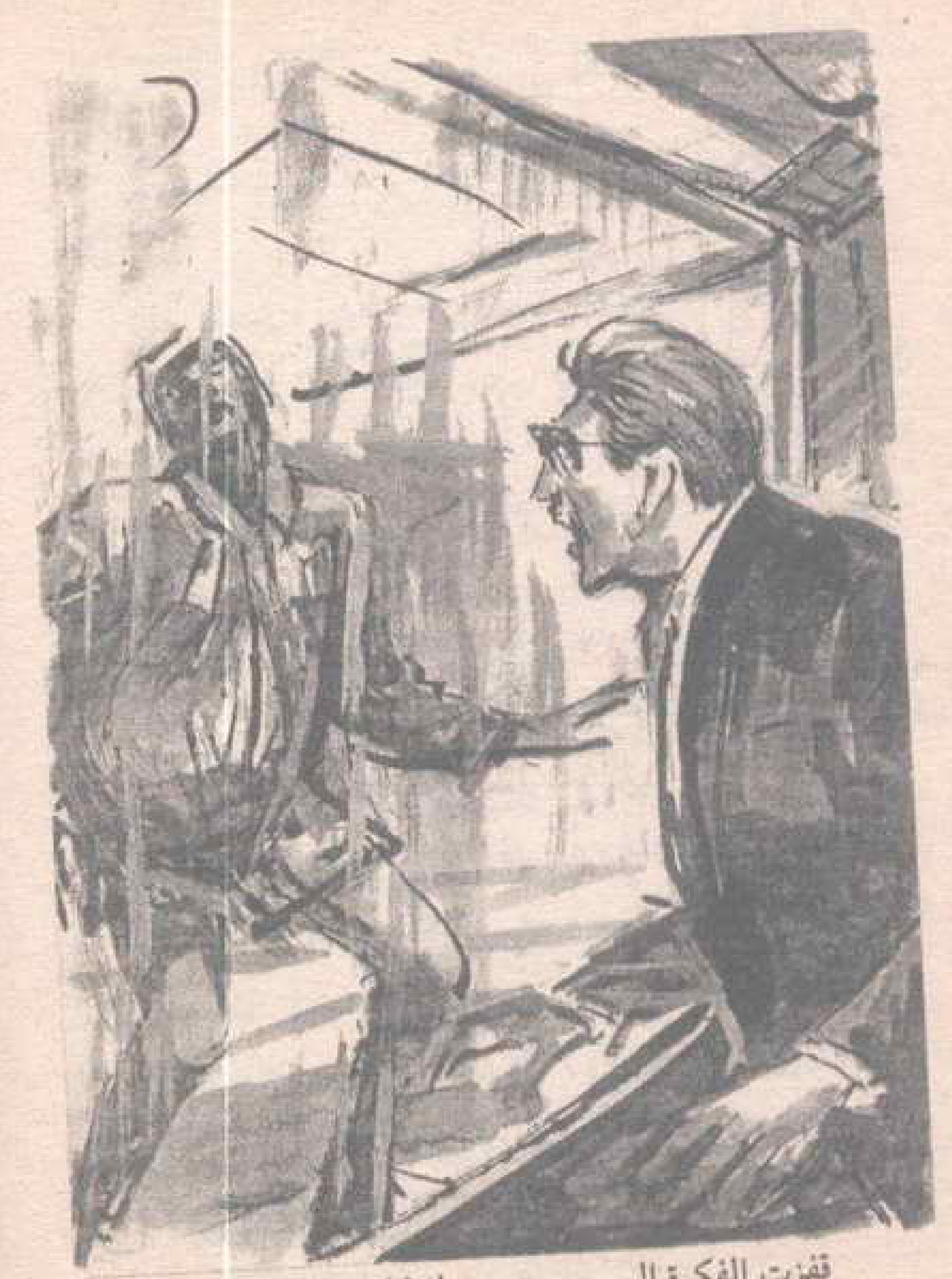
صاح الرئيس :

- مستحيل !.. لا يمكن أن يفعل وزير الدفاع هذا ، دون الرجوع إلىّ ، وإلى مجلس الوزارء .. كلنا نعلم أن التجارب البيولوجية ممنوعة تمامًا ، بعدما حدث فى نهايات القرن العشرين(*) ، والذى كاد ينتهى بكارثة عام ١٩٩٩م ، وهناك هيئة مراقبة دولية ، لمنع القيام بهذه التجارب ، فى أية دولة من دول العالم .

أشار (نور) بيده قائلاً :

- بالضبط ، ولهذا السبب بالتحديد ، لم يكن باستطاعة وزير الدفاع القيام بتجارب بيولوجية ، فى المعامل ومراكز الأبحاث داخل وحدات الجيش ، لذا فقد لجأ إلى الدكتور (هاشم) ، رئيس قسم الأبحاث الفيروسية فى إدارة البحث ، التابعة للمخابرات العلمية ، ونجح فى تجنيده ، وفى منحه كل ما يحتاج إليه من تسهيلات بصفة سرية ، حتى نجح فى تخليق أبشع فيروس عرفته البشرية ، فى تاريخها كله ، ولكن الدكتور (هاشم) نقض الاتفاق ، ولم يلتزم بالخطة ، وقرر

(*) تشير بعض أصابع الاتهام إلى التجارب البيولوجية الأمريكية ، باعتبار أنها المسئولة عن تطوير وانتشار فيروس (الإيدز) ، فى أثناء محاولة تطوير سلاح بيولوجى جديد .



قفزت الفكرة إلى رءوسهم ، وانتفضوا فى ارتياع ، قبل حتى أن يشير (نور) إلى الوزير ..

العمل لحسابه ، واستغلال فيروسه للسيطرة على الجميع ، حتى وزارة الدفاع نفسها ، ومن هنا كانت ضرورة وحتمية الوصول إليه قبلنا ، وتدميره تمامًا ، حتى لا يفضح الأمر .

صدمت كلمات (نور) رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى ، والدكتور (ناظم) فى عنف ، فى حين ازداد شحوب الوزير ، وانكماشه فى مقعده لبضع لحظات ، قبل أن ينتفض فى عنف ، ويصيح فى وجه (نور) ، ملوّحًا فيه بسبّابته :

ـ هراء .. مجرّد هراء .. (استنتاجات محضة) ، أفرزها عقل مقدّم مريض ، فى المخابرات العلمية ، يتصوّر أنه أكثر ذكاء وبراعة من الآخرين ، وأن بإمكانه تصفية حساباته مع وزير الدفاع نفسه ، بمجرّد أقوال تافهة ، لا تستند إلى دليل مادى واحد .. أين دليلك على ما تقول أيها المقدّم ؟ أين أدلة اتهامك ؟!

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفتى (نور) ، ارتجف لها الوزير ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهوى معها قلبه وسط ضلوعه ، و (نور) يجيب :

ـ أعلم أنكم قمتم بمحو ملف الدكتور (هاشم) كله من سجلاتكم يا سيادة الوزير ، ولكن المشكلة أن

علاقته بكم لم تكن مجرّد ملف .. لقد ابتعتم من أجله بعض المواد ، والأجهزة ، وكان من الضرورى أن يذهب لفحصها ، والتأكد من صلاحيتها ، كما كان من الضرورى أيضًا أن يتقاضى أجرًا على عمله ، وهذا الأجر يتم صرفه من بند المصروفات السرية ، الذى لم يمكنكم محوه ؛ لأنه يحوى بيانًا بكل المصروفات الأخرى .

والتقط من جيبه قائمة كبيرة ، سلّمها لرئيس الجمهورية ، قائلًا :

ـ سيدى الرئيس .. هذه قائمة كاملة بالمصروفات السرية لوزارة الدفاع ، خلال العامين الماضيين ، وستلاحظ سيادتك أنها تتضمّن مكافأة ثابتة ، يحصل عليها الدكتور (هاشم) ، من وزارة الدفاع ، التى لم يعمل بها يومًا بصفة رسمية .. ترى هل يمكن أن يبرّر لنا السيّد الوزير ، سبب منح هذه المكافآت المنتظمة ، لرجل يعمل لحساب جهة أخرى .

مرة أخرى ، التفتت العيون كلها إلى الوزير بنظرة اتهام غاضبة ، وقال رئيس الجمهورية فى صرامة :

ـ لماذا ؟! لماذا فعلت هذا يا وزير الدفاع ؟

صمت الوزير لحظة ، احتقن خلالها وجهه فى شدة ، قبل أن يجيب فى حدة ، وهو ينتفض واقفًا :

- لأنه أمر حتمى .. كل دولة لابد وأن تمتلك سلاحًا قويًا ، ترهب به أعداءها وتخيفهم ، وتستخدمه ضدهم إذا ما اضطرتها الأمور لهذا .. كل دولة تسعى لامتلاك أقوى الأسلحة فى كل المجالات .. هل تصدقون أن الجميع يلتزمون بقرارات منع التجارب العسكرية البيولوجية ؟! واهمون أنتم لو تصوّرتم هذا .. الكل يجرى تجاربه ، وينفق عليها عشرات الملايين سنويًا ، وفى سرية تامة ، ولم يكن من الممكن أن نتخلف أبدًا عن الركب .

قال الدكتور (ناظم) محنقًا :

- لماذا أخفيت الأمر إذن ؟ لماذا لم تخبرنا ؟

صاح الوزير فى عصبية شديدة :

- لأنكم مدنيون .. لن يمكنكم فهم الأمر أو استيعابه قط .. لو أننى أخبرتكم أننا فى سبيلنا لتخليق أقوى فيروس عرفه التاريخ ، فستستنكرون ، وتعترضون ، وتتحدثون عن القيم ، والمبادئ ، وقواعد الرحمة والإنسانية ، وكل تلك الأمور العاطفية السخيفة ، التى لا تربح حربًا ، ولا تبرز قوة .. أما أنا فرجل عسكرى صرف ، لا أومن بالعواطف والمشاعر الرقيقة .. أومن فقط بالقوة .. القوة وحدها .. كن قويًا يخشاك الجميع ..

اسحقهم بقدمك يقفون لك احترامًا .. هذا هو قانون الدنيا .. القانون الذى يعرفه كل العسكريين .. قانون البقاء للأقوى .

أجابه (نور) فى صرامة :

- ما تتحدّث عنه ليس قانون الدنيا يا سيادة الوزير ، بل شريعة الغاب .. الأقوى يلتهم الأضعف ، دون رحمة أو إنسانية .. شريعة البقاء للأقوى ، على حساب الأضعف .. ولكن النظم والقواعد والقوانين المتطوّرة ، وكل الأديان السماوية ، موجودة لحماية الأضعف ، ولمنع القوى عن التهامه ، لمجرّد أنه قوى .. الحضارة هى التى ألغت قاعدة البقاء للأقوى ، واستبدلت بها قاعدة أخرى تقول : إن البقاء للأصلح .. للأفضل .. معظم العلماء كانوا ضعاف الأجساد ، ولكنهم صنعوا الحضارة بعقولهم ، وليس بعضلاتهم .. كل ما تنعم به فيما حولك ، وحتى ما تتمتع به من قوة ، من صنع أفراد لم يتملكوا يومًا عضلات المصارعين .. أفراد تكمن قوتهم فى ذلك الشىء ، الذى لا تؤمن بوجوده .. العقل والقلب ..

لوّح الوزير بذراعه ، هاتفًا :

- فلسفة سخيفة وغير مجدية .. ما الذى يمكن أن يفعله العقل والقلب ، فى مواجهة القوة ؟! هل سينطلقان نحوك صاروخ حارق ، من مقاتلة سوبر نفاثة ، فتتصدّى له بعقلك وقلبك ؟!

أجابه (نور) :

- بالتأكيد ، فالصاروخ الحارق ، الذى ينطلق نحوك ، من تصميم وصنع عقول واعية مفكرة ، وإذا ما تصديت له بصاروخ مضاد ، فستحتاج حتمًا إلى عقول أخرى ، لتضع تصميماته ، وتخرجه إلى عالم الوجود .. صدقنى يا سيادة الوزير .. حتى القوة وقودها العقل .. العقل الذى يرشده القلب إلى الهدف النبيل ، والطريق القويم .

أشار رئيس الجمهورية إلى (نور) ، قائلاً فى حزم :

- لا داعى للاستمرار فى المناقشة يا (نور) .

ثم التفت إلى الوزير ، مستطردًا :

- مع وزير سابق .

انتفض جسد وزير الدفاع فى عنف ، وهو يحدّق فى وجهه ، قبل أن تتحوّل مشاعره كلها إلى الغضب ، ويهتف :

- أهذا قرارك النهائى ؟! أن تقيلنى من منصبى ؟! كل هذا لأننى حاولت صنع سلاح قوى ، يرتجف أمامه

أصدقاؤنا قبل أعدائنا ؟! يا للسخافة ! ولكننى أنا الملوم .. كان ينبغى أن أدرك أنك أيضًا مجرّد مدنى ، حتى ولو كنت تحظى بمنصب رئيس الجمهورية .. قديمًا ، عندما كان الرؤساء من العسكريين ، كان يمكنهم فهم مثل هذه الأمور واستيعابها .

أجابه الرئيس فى صرامة :

- حتى الرؤساء العسكريين لم يفكّروا بهذه البشاعة يا رجل .

ابتسم الوزير فى سخرية عصبية ، قائلاً :

- البشاعة ؟! فليكن يا أصحاب القلوب الرقيقة والمشاعر المرهفة .. سنرى ما ستفعلونه ، إذا ما واجهكم عدو قوى ، بسلاح لا يمكنكم التصدّى له .. سنرى .

واستدار يزمع مغادرة المكان ، إلا أن رئيس الجمهورية استوقفه بلهجة صارمة ، فالتفت إليه الوزير ، ليقول له الرئيس فى صرامة أكثر :

- يبدو أنك لم تستوعب الأمر جيدًا ، أيها الوزير السابق .. إقالتك من منصبك ليست كل شىء ، فهى مجرّد إجراء سيادى ، أملك إصدار الأمر به ، بحكم القانون والدستور ، وبالذات عندما يصدر بشأن

وزارات السيادة(*) ، ولكنْ هناك أمور لا أمتلك سلطة فعلها ، كمحاكمتك للقيام بإجراء تجارب محظورة دوليًا ، وتمويلها ، وإخفاء أمرها عن رؤسائك .

احتقن وجه الوزير بشدة ، واتسعت عيناه فى ذهول مرتاع ، فى حين التفت الرئيس إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قائلاً :

- ألق القبض عليه .

أجابه القائد الأعلى فى حماس :

- بكل سرور يا سيادة الرئيس .

وكان هذا يعنى أن الحاجز ، الذى كان يعترض (نور) وفريقه قد زال ، وأنه لم يعد أمامهم فى الساعات القليلة القادمة ، سوى مواجهة الخطر الرئيسى ..

الخطر الذى يتمثَّل فى اسمين ، بينهما رابطة قوية .

(هاشم) ..

و (هشيم) ..

* * *

(*) وزارات السيادة : يطلق المصطلح على عدد من الوزارات ، التى يختار رئيس الجمهورية شخصيًا القائمين عليها ، مثل وزارة الدفاع ، ووزارة الداخلية ، ووزارة الخارجية .

« أخبرنى بالله عليك ، ماذا أفعل هنا يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) العبارة فى غضب ، وهو يرقد على فراش وثير ، فى حجرة العناية المركّزة بالمستشفى ، فربَّت (نور) على كتفيه ، قائلاً :

- اهدأ يا صديقى .. اهدأ .. لقد فقدت الكثير من دمك ، ووجهك الشاحب خير دليل على هذا ، والأطباء يؤكدون حتمية بقائك تحت الملاحظة لاثنتى عشرة ساعة أخرى على الأقل ، حتى تستعيد عافيتك .

هتف (أكرم) فى حنق :

- إنهم أغبياء .. لقد استعدت عافيتى بالفعل .. إنها مجرَّد إصابات طفيفة ، لن تعوقنى أبدًا عن ممارسة عملى ، والوقوف إلى جوارك ، فى مواجهة ذلك الوغد يا (نور) ..

« أى وغد ؟!.. » ..

انطلق السؤال بغتة ، عند باب الحجرة ، فالتفت إليه الاثنان فى اهتمام ، وتمتم (أكرم) بلا انفعال :

- (مشيرة) ؟!

دلفت (مشيرة) إلى الحجرة ، وهى تسأل فى لهفة :

- عن أى وغد تتحدثان ؟! أهو الشخص المسئول عن كل ما يحدث منذ الصباح ؟!

ابتسم (نور) فى هدوء ، دون أن يجيب ، فى حين قال (أكرم) فى حدة :

ـ عجبًا !.. كنت أتصوَّر أن أوَّل سؤال ستلقينه هو : كيف حالك يا زوجى العزيز ؟!

احمر وجهها خجلًا ، وهى تقول :

ـ معــذرة يا (أكــرم) .. لقــد حضــرت خصيصًــا للاطمئنان عليك ، ولكن حديثكما أثار فضولى ، و ....

قاطعها فى حدة :

ـ وانتصرت الصحفية فى أعماقك علـى الزوجة المخلصة الحنون ، التى يفترض أن تكونيها .. أليس كذلك ؟!

احتقن وجهها ، وهى تقول :

ـ (أكرم) .. لا تسئ فهمى كالمعتاد .

قال فى حنق :

ـ وماذا يضيرك فى هذا ؟! أنا مجرَّد شخص همجى..

صاحت غاضبة :

ـ أنت كذلك بالفعل ، حتى إننى أشعر بالندم لزيارتى لك .

لوَّح بيده ، هاتفًا :

ـ لم يفت الوقت بعد .. هيا .. يمكنك الانصراف ، بأقل قدر من الخسائر ..

صاحت به :

ـ هذا ما سأفعله .

واستدارت مندفعة نحو الباب ، ثم لم تلبث أن توقَّفت ، ولاذت بالصمت بضع لحظات ، ثم قالت ، دون أن تلتفت إليه :

ـ هل تعلم .. أنت شخص همجى بالفعل .

ثم التفتت إليه بعينين دامعتين ، وهى تستطرد :

ـ ولكننى أحبك .

قالتها ، واندفعت نحوه ؛ لتلقى نفسها بين ذراعيـه ، فاحتواها فـى حنـان غـامر ، يتنـاقض تمامًـا مـع ثورتـه الغاضبة منذ لحظات ، وهمس فى أذنها :

ـ أنا أيضًا أحبك يا أميرتى .

ابتسم (نور) فى ارتياح ، ونهض قائلًا :

ـ إلـى اللقـاء يا (أكـرم) .. اعتـن بنفسـك جيـدًا ، والتزم بنصائح وتعليمات الأطباء يا صديقى .

وغادر المكان فى سرعة ، عائدًا إلـى مقر الفريق ، وعقله يعيد دراسة الموقف كله من جديد ..

الوقت يمضى بسرعة كبيرة ، وساعة الصفر تقترب والأمور تزداد تعقيدًا فوق تعقيد ..

(أكرم) أصيب ، و (رمزى) أصابته شظية فى كتفه ، ووزير الدفاع تمت إقالتـه ، والدكتور (هاشم) يستعد لضربة جديدة ..

والفريق عاجز عن تحقيق الانتصار هذه المرة ..

والفشل سيكون مخيفًا ..

ورهيبًا ..

الفشل يعنى أن يسيطر عالم مجنون علـى الأرض كلها ، مهددًا إياها بنشر وباء رهيب مخيف ، فى أية لحظة يشعر فيها بالغضب تجاهها ..

ويا له من ثمن !..

طرح (نور) أفكاره هذه فى وضوح ، على آذان رفاقه ، فى حجرة اجتماعات الفريق ، قبل أن يختتم حديثه ، قائلاً :

- أمور كثيرة تكشفت لنا ، خلال الساعات الماضية ، ولكنها لم تنجح فى أن تقودنا إلى خصمنا ، الذى يستعد ليضرب ضربة قوية ، كما أكد (رمزى) .. والمقلق فى الأمر أنه سيضرب تلك الضربة الجديدة ؛ ليعاقبنا ، وليس ليتحدانا ، وهذا يعنى أنه لن يحاول إنذارنا قبلها ، أو توجيهنا إليها .

اعتدل (رمزى) ، قائلاً :

- ليس بالضرورة يا (نور) .

التفت إليه (نور) متسائلا ، فتابع :

- الرجل يرغب فى تأديبنا بحق ، ولكنه كمريض نفسى ، لن يستطيع مقاومة تلك النزعة إلى التفوق فى أعماقه ، مما سيدفعه حتمًا إلى محاولة إرشادنا إلى الضربة التالية ، ولكن بأسلوب شديد التعقيد ، بحيث نعجز عن التوصل إليه ؛ ليقنع نفسه بأنه قد حذرنا ، ولكننا لم نفهم تحذيره ، مما يعنى أنه الأكثر ذكاءً وبراعة .

قالت (سلوى) فى اهتمام :

- ليته يفعل ، حتى يمكننا تتبع محادثته ، ومعرفة موقعه ؛ لنفسد عليه خطته كلها .

هزّ (رمزى) كتفه السليمة ، قائلاً :

- لن يكون هذا سهلاً ، فالرجل بارع وذكى ، وشديد الحرص ، ولن يسمح لك بتعقب مكالمته أبدًا .

قالت (نشوى) :

- يمكننا أن نحاول على الأقل :

تنهد (رمزى) قائلاً :

- بالطبع .. كل منا يخضع حتمًا لتتابع نمطى ،

يفرض عليه القيام بأداء محدود ، على نحو منتظم ، حتى ولو أدرك أن هذا لا يمكن أن يفيده بشىء ما .

التفت إليه (نور) ، وسأله فى اهتمام :

- ما الذى تقصده بالتتابع النمطى يا (رمزى) ؟

أجابه (رمزى) :

- إنه نوع من الالتزام ، تجاه تقليد ما ، كأن يصر الكاتب مثلاً على استخدام نوع خاص من الحبر أو الأقلام ، أو أن تعتاد المرور بطريق ما عند ذهابك أو إيابك ، حتى ولو كان هناك طريق أقصر ، تم افتتاحه قريبًا ، أو تختار تاريخ مولدك كرقم لخزانتك السرية ، وهكذا .. مجرَّد نمط ، يشعر المرء معه بالارتياح ، ويلتزم به ، دون التفكير فى أهميته أو عواقبه .

سأله (نور) فى اهتمام أكبر :

- هل تعنى أن ...

قبل أن يتم سؤاله ، ارتفع رنين هاتف الفيديو ، فهبّت (نشوى) من مقعدها ، هاتفة :

- إنه هو .

قفزت (سلوى) إلى كمبيوتر الاتصالات ، وضغطت أزراره فى سرعة ، فى حين ضغط (نور) زر الهاتف ،

فتكوّنت على شاشته الصغيرة صورة الدكتور (هاشم) ، وهو يقول فى صرامة :

- خالفت القواعد ، واستعنت بالجيش أيها المقدّم (نور) :

أجابه (نور) :

- وزير الدفاع هو الذى فعل هذا ، دون الرجوع إلى ... قاطعه الدكتور (هاشم) فى غضب :

- لا تحاول خداعى ثانية .. لقد خالفت القواعد ، وتستحق العقاب .

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

- والعقاب فى صورة قنبلة فيروسية جديدة .. أليس كذلك ؟

أجابه فى حدة :

- نعم .. وستنفجر بعد عشرين دقيقة بالضبط :

سأله (نور) فى لهفة :

- أين ؟!

ارتسمت على شفتى الرجل ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- لديك بالفعل كل المعلومات المطلوبة أيها العبقرى .. اعقد اجتماعًا مع رفاقك ، وستدرك أننى على حق .

قالها ، وأنهى الاتصال بغتة ، فهتفت (سلوى) محنقة :

ـ يا للوغد !.. إنه يعرف الوقت المطلوب للتتبُّع بالضبط ، ولا يمنحنا إياه أبدًا .

غمغم (رمزى) :

ـ ألم أقل لك : إن الأمر لن يكون سهلاً أبدًا ؟!

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يفكّر فى كلمات الدكتور (هاشم) ..

ما الذى يقصده بأن لديهم كل المعلومات المطلوبة بالفعل ؟!

وماذا عن اجتماعه برفاقه ؟!

الرجل يعنى دائمًا كل كلمة ينطق بها ..

هذا ما أثبتته الأحداث ، عندما ضرب ضربته فى مركز (الهدف) التجارى ، و (أميرة النيل) ، ومطعم (الشروق) ، و ....

فجأة ، توقّف عقله عند تلك الأهداف الثلاثة ..

وبسرعة تفوق أحدث أجهزة الكمبيوتر ، أعاد عقله ترتيب الموقف ، والوقائع ، والأحداث ، وحتى الأحاديث والحوارات التى دارت طوال اليوم ..

ثم برقت عيناه ..

برقًا على نحو خفقت معه قلوب رفاقه ، وغمغم له (رمزى) فى انبهار :

ـ لقد توصلت إلى الحل يا (نور) .. أليس كذلك ؟!

وهتفت (نشوى) فى حماس :

ـ أين ؟! أين سيضرب ضربته القادمة يا أبى ؟!

نهض (نور) ، وأشار إلى نقطة فوق خريطة كبيرة لـ (القاهرة الجديدة) ، وهو يجيب فى حزم :

ـ هنا .

تعلّقت عيون الجميع بالمكان الذى أشار إليه ، وخفقت قلوبهم مرة أخرى فى عنف ، وشخص واحد يقفز إلى أذهانهم ..

الرئيس ..

رئيس الجمهورية .

★ ★ ★



٩ - المواجهة ..

مع الأحداث العنيفة، التى شهدتها (القاهرة الجديدة) ، طوال الساعات الماضية ، لم يشعر المدعوون إلى مؤتمر الإعلاميين بشىء من الدهشة ، أمام إجراءات الأمن المضاعفة ، حول مركز المؤتمرات الجديد ، استعدادًا لوصول رئيس الجمهورية ؛ لافتتاح المؤتمر ، وعقد مؤتمره الصحفى المعتاد ..

بل على العكس ، لقد شعر الجميع بالارتياح ؛ لأن المكان الذى سيقضون فيه الساعات الثلاث القادمة ، تمَّ تأمينه على هذا النحو ..

وعند المدخل الرئيسى لقاعة المؤتمرات الأولى ، وقف رجال المخابرات بقاماتهم الممشوقة ، وصدورهم العريضة ، يستقبلون القادمين ، فى مزيج من الحزم والاحترام ، استحقوا عليه إعجاب الحاضرين وامتنانهم .

وتعاونهم أيضًا ..

ودون اعتراض واحد ، خضع الجميع لأجهزة الفحص الأمنية ، وتوافدوا إلى المكان فى ارتياح ، واحتلَّ كل منهم مقعده ، فى انتظار وصول الرئيس ..

وبينما انهمك رجال المخابرات فى عملهم ، فوجئوا بالمقدَّم (نور) أمامهم ، يسألهم فى اهتمام واضح :

- أكل شىء على ما يرام ؟

لم يكن أحدهم قد التقى به شخصيًا قط ، إلا أنهم جميعًا يعرفونه ، ويحملون له كل التقدير والاحترام ، بل ويعتبرونه مثلا يحتذى ، فى عالم المخابرات ؛ لذا فقد استقبلوه فى حرارة واحترام بالغين ، وأجابه قائدهم :

- كل شىء على ما يرام يا سيادة المقدَّم .. هل ترغب فى مراجعة الإجراءات بنفسك ؟ يمكن أن أصحبك فى جولة كاملة :

أشار بيده ، وهو يتجه إلى المدخل ، قائلاً :

- كلاً .. واصلوا عملكم ، فوجودكم هنا أكثر أهمية ، وسأقوم بعملى فى الداخل .

كان من الطبيعى أن يتجاوز كل إجراءات الأمن ، التى تستغرق وقتًا طويلاً ، وأن يتجه فورًا إلى قاعة المؤتمرات ، التى توقَّف فيها لحظة ؛ ليدير عينيه فيما حوله ، قبل أن يغمغم ساخرًا :

- قصور رهيب فى إجراءات الأمن .. كان ينبغى عليكم التحقُّق من شخصيتى أيها الأغبياء .

لم يكن الصوت ، الذى نطق به عبارته هو صوت (نور) ..

وإنما كان صوته الأصلى ..

صوت الدكتور (هاشم صدقى) ..

وفى خطوات سريعة ، عبر الرجل قاعة المؤتمرات ، وتجاوز منصة الخطابة إلى الكواليس الخلفية ، وقال لرجال الأمن هناك فى صرامة :

- المقدم (نور) ، من المخابرات العلمية .. أريد مراجعة كل إجراءات الأمن بنفسى .

استقبله رجال الأمن فى الكواليس بنفس الاحترام والحرارة ، وتركوه يفحص إجراءات الأمن بنفسه ، فصعد إلى المسار العلوى ، الذى يعبر ما فوق المنصة تمامًا ، وتوقَّف ليلقى نظرة على المكان الذى سيلقى منه رئيس الجمهورية خطبته ، قبل أن يبتسم فى سخرية ، مغمغمًا :

- أراهن على أن الهدف سيثير هذه المرة ضجة عالمية ، فليس فى كل يوم يلقى رئيس جمهورية مصرعه بفيروس قاتل ، أمام عيون مئات المشاهدين ، من أفضل رجال الإعلام فى العالم .

وأخرج من جيبه قنينة جديدة ، تحوى ذلك السائل المائل إلى الزرقة ، والذى تسبح فيه ملايين الفيروسات الرهيبة ، وربط عنقها بخيط قصير ، ثبت طرفه فى قائم المسار ، فوق منصة الخطابة تمامًا ، ثم وضع المفجّر عند طرف الخيط ، مغمغمًا فى ظفر :

- سيكون المشهد رائعًا هذه المرة .. القنينة لن تنفجر فى أعلى ، بل سينقطع خيطها فحسب ، لتهوى أمام عيون الجميع ، وتتحطَّم فوق منصة الخطابة ، فى وجه الرئيس تمامًا .

وارتجّ جسده بضحكة مكتومة ، وهو يستطرد :

- مشهد يستحق تسجيله سينمائيًا ؛ لتخليد عبقرية الدكتور (هاشم صدقى) على مر التاريخ .

مرة أخرى كتم ضحكته ، وهو يغادر مكانه ، ويلقى نظرة على ساعته ، ويستعد لمغادرة المكان ، و ....

وفجأة ، وقع بصره على سيارة تتوقّف خارج القاعة ، ويهبط منها شخص يتوقَّع رؤيته ، فى هذه اللحظة ..

(نور) ..

المقدّم (نور الدين محمود) الحقيقى ..

كان (نور) فى تلك اللحظة يتجه نحو مدخل القاعة ، و (رمزى) يسأله فى توتر :

– أأنت واثق من أن مؤتمر الإعلاميين هو هدفه الجديد يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

– كل الثقة يا (رمزى) .. الدكتور (هاشم) أيضًا يلتزم بذلك التتابع النمطى ، الذى كنت تتحدث عنه ، ونرجسيته وشعوره بالعظمة جعلاه يختار أهدافًا تبدأ بحروف اسم (الهدف) ، و (أميرة النيل) ، و (الشروق) .. الهاء والألف والشين .. يتبقى إذن حرف الميم ، وهذا ما كان يقصده ، عندما قال : إن لدينا بالفعل كل المعلومات المطلوبة .. أضف إلى هذا حديثه عن اجتماعى معكم .. إنه يشير إلى الاجتماعات .. وعندما ربطت هذا بما سمعته من السيد الرئيس ، عن مؤتمر الإعلاميين ، الذى ينعقد الليلة ، أدركت أن الهدف التالى هو مركز المؤتمرات ، أو مؤتمر الإعلاميين بالتحديد .. إنه الهدف الذى يحقق كل النزعات فى أعماق الدكتور (هاشم) ويرضيها .. ضجة إعلامية لا مثيل لها ، والقضاء على رئيس الجمهورية نفسه .. أى هدف يمكن أن يفوق هذا ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع تصفيق حار فى القاعة ، فهتف (رمزى) :

– رباه !.. لقد وصل السيد الرئيس .

انطلق (نور) يعدو ، هاتفًا :

– أسرع بالله عليك يا (رمزى) .. أسرع .

وما أن بلغا الباب ، حتى اتسعت عيون رجال المخابرات فى ذهول ، وقال أحدهم مرتبكًا :

– سيادة المقدم (نور) ؟! عجبًا ! كيف غادرت القاعة يا سيدى .. لقد رأيناك جميعًا تدخلها منذ قليل .

اتسعت عينا (نور) بدوره ، وقال :

– رباه ! الوغد انتحل شخصيتى يا (رمزى) ، وهذا يعنى أنه بالداخل .

ثم التفت إلى رجال المخابرات ، مستطردًا بلهجة آمرة :

– أغلقوا الأبواب ، وامنعوا خروج أى شخص من القاعة ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهمون ؟!

تبادل الرجال نظرة متوترة ، وقال (رمزى) :

– ماذا تقول يا (نور) ؟! ينبغى أن تعمل على إخلاء القاعة بأقصى سرعة ، لا على منع الخروج منها .

ألقى (نور) نظرة على ساعة يده ، وقال فى توتر :

– ليس لدينا وقت لإخلاء منظم يا (رمزى) .. ستنفجر القنبلة الفيروسية بعد خمس دقائق فحسب ،

ونحن لا نعرف موقعها ، ورئيس الجمهورية شخصيًا داخل القاعة ، يلقى خطبته السنوية .. هل تدرك ما الذى يمكن أن يحدث ، لو طلبنا إخلاء القاعة فجأة ؟! أجابه (رمزى) فى عصبية :

- كلاً ، ولكننى أدرك ما يمكن أن يحدث ، لو انفجرت تلك القنبلة الفيروسية ، داخل قاعة احتشد فيها كل المسئولين وكل رجال الإعلام .

قال (نور) فى حزم :

- ما دمنا سنمنع الدكتور (هاشم) من مغادرتها ، فلن يجازف بتفجير القنبلة .

تدخل أحد رجال المخابرات ، قائلاً فى توتر شديد :

- مهلاً أيها السيدان .. إنكما تتحدثان عن أمور بالغة الخطورة ، وعن انتحال شخصية المقدّم (نور) .. من أدرانى أن الذى بالداخل ليس المقدّم (نور) الحقيقى ، وأن ما تفعلانه مجرّد تمثيلية لا نتحال شخصيته ، وإقناعنا بإدخالكم إلى القاعة .

التفت إليه (نور) ، يسأله فى حزم :

- هل خضع ذلك الذى فى الداخل لإجراءات الأمن التقليدية ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يقول :

- كلاً .. لقد ....

قاطعه (نور) فى سرعة :

- عظيم .. أنا مستعد لخوضها إذن .

تطلّع (رمزى) إلى ساعته ، قائلاً فى توتر :

- الوقت يمضى بسرعة يا (نور) .

أجابه (نور) فى صرامة :

- لا توجد وسيلة اخرى .

فى نفس الوقت ، الذى خضع فيه (نور) و(رمزى) لإجراءات الأمن ، أدرك الدكتور (هاشم) أن الأمور قد تعقّدت كثيرًا هذه المرة ، فتحرك بسرعة ، محاولاً العودة إلى المسار العلوى للمنصة ، لإيقاف عمل المفجر ، ولكن رجال الأمن اعترضوا طريقه فى حزم هذه المرة ، وقال أحدهم :

- معذرة يا سيادة المقدّم (نور) ، ولكن التعليمات مشددّة ، بعدم دخول أى كائن كان إلى الكواليس ، بعد صعود الرئيس إلى المنصة ، مهما كانت الأسباب .

قال فى عصبية :

- ولكن الأمر مهم للغاية .

هزّ الرجل رأسه نفيًا فى صرامة ، وقال :

ـ مستحيل يا سيادة المقدّم .. تقبّل اعتذارى .. إنها أوامر عليا .

تراجع الدكتور (هاشم) مضطرًا ، ورأى (نور) و (رمزى) يدلفان إلى القاعة ، وساعته تشير إلى تبقّى أقل من دقيقتين ، قبل سقوط القنينة ، فانتحى ركنًا قصيًا ، وضغط ياقته ، ليبدل ملامح (نور) الهولوجرامية بأخرى ، وهو يتمتم فى عصبية شديدة :

ـ لابد من الخروج من القاعة .. لابد .. ستسقط القنينة بعد مائة ثانية فحسب .. ينبغى على الأقل أن أبتعد عنها بقدر الإمكان .

تحرّك فى خطوات واسعة إلى آخر القاعة ، ورأى رجال المخابرات يوصدون الأبواب فى إحكام ، فتمتم فى مقت غاضب :

ـ ستدفع الثمن يا (نور) .. ستدفع الثمن غاليًا .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (رمزى) يقول لـ (نور) فى عصبية شديدة :

ـ إنك تخوض مخاطرة رهيبة يا (نور) .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ سأتحمّل المسئولية كاملة .

قال (رمزى) فى حدة :

ـ أية مسئولية ؟! لو انفجرت تلك القنبلة الفيروسية ، وسط كل هذا الحشد ، لن تجد من تلقى عليه المسئولية ، فسيلقى الجميع مصرعهم حتمًا ، وعلى نحو شديد البشاعة .

أجابه (نور) ، وهو يدير عينيه فى المكان ، بحثًا عما يرشده إلى خصمه :

ـ هذا يتوقّف على حجم القنبلة وموضعها .

سأله (رمزى) ، وقد استحالت حدته إلى مزيج من الدهشة والفضول :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) :

ـ القاعة هائلة المساحة كما ترى ، بدليل أنها تضمّ أكثر من خمسة آلاف شخص ، ولو نظرت إلى سقفها ، لن تجد أثرًا للقنبلة ، وهذا يعنى أن انفجارها لن يصيب الجميع ، بل سيتركز على مجموعة محدودة من الحاضرين ، و ...

انعقد حاجباه فى حدة ، قبل أن يهتف :

ـ رباه !.. الرئيس .

اتسعت عينا (رمزى) فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !.. (نور) .. هل تقصد أن ..

قاطعه (نور) ، فى توتر شديد :

- بالتأكيد يا (رمزى) .. ذلك الوغد يستهدف الرئيس مباشرة .

وألقى نظرة على ساعته فى توتر بالغ ، فأشار عقرب الثوانى فيها إلى أن أمامه عشر ثوان فحسب ، قبل الانفجار ، فهتف :

- رباه !.. الرئيس يا (رمزى) .. الرئيس .

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، كان رجل المخابرات المسئول عن أمن القاعة ، يقول لرجاله ، المنتشرين فى المكان ، عبر دائرة اتصال محدودة :

- إنذار إلى الجميع .. هناك شخص فى القاعة ينتحل شخصية المقدم (نور) .. انتبهوا إليه جيدًا .. ولاحظوا أن المقدّم (نور) نفسه هنا .. حاولوا التفرقة بينهما .

سأله أحد رجاله فى حيرة متوترة :

- وكيف يمكننا تمييز الحقيقى والزائف ؟

صمت الرجل لحظة ، وهو يبحث عن جواب مناسب للسؤال ، قبل أن يقول فى صرامة :

- تصرفاته ستكشفه .. إنه يستهدف السيّد الرئيس .. انتبهوا جيدًا ، و ...

فجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، انطلق (نور) يعدو نحو المنصة ، التى يلقى الرئيس عندها خطابه ، فصاح أحد الرجال ، وهو يسحب مسدسه الليزرى :

- ها هو ذا .

اتجهت الأنظار كلها نحو (نور) ، باعتباره الدكتور (هاشم) متنكرًا ، وتوقّف الرئيس عن إلقاء خطبته ، وهو يقول فى دهشة :

- (نور) ؟! ماذا تفعل هنا ؟!

وشهق الحاضرون فى دهشة ، ونهضوا من مقاعدهم فى ذعر ، وتعلّقت عيونهم بـ (نور) ، الذى انطلقت نحوه خيوط أشعة الليزر ، من مسدسات طاقم حراسة الرئيس ، و (رمزى) يصرخ :

- لا .. لا تفعلوا هذا .. إنه (نور) الحقيقى .

واخترقت الأشعة ذراع (نور) ، وفخذه ، وأصابت الأرض فى أكثر من موضع تحت قدميه ..

إلا أنه لم يتوقّف ..

فالوقت يمضى بسرعة ..

ست ثوان .. خمس .. أربع .. ثلاث .. اثنتان .. واحدة ..

وانفجر المفجرّ الصغير بدوى قوى ، أثار الذعر فى المكان كله ، فتوقّف رجال الحراسة عن إطلاق أشعتهم ، ورفعوا عيونهم إلى أعلى ، ومعهم الرئيس ، وكل الحاضرين ..

ورأى الجميع تلك القنينة الصغيرة ، والسائل المائل للزرقة داخلها ، وهما يهويان من المسار العلوى للمنصة ..

نحو رئيس الجمهورية مباشرة ..

وبكل قوته ، قفز (نور) ..

وكان الدكتور (هاشم) على حق تمامًا فى تصوّره .

المشهد يستحق التسجيل سينمائيًا بالفعل ..

ولكن من زاوية أخرى ..

لقد بدت وثبة (نور) مدهشة إلى أقصى حد ، وهو يطير فى الهواء ، متجاوزًا المنصة بارتفاعها ، والقنينة تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

وبيده اليسرى ، دفع (نور) رئيس الجمهورية بعيدًا ، ثم دار حول نفسه بحركة مبهرة ، والتقط القنينة بيده اليمنى ، قبل أن يسقط أرضًا ، ويتدحرج إلى جوار

الرئيس ، وهو يقبض على القنينة فى قوة وبكل غضب الدنيا ، صرخ الدكتور (هاشم) :

ـ لا .. لا !!!! .

ولكن صرخاته ضاعت وسط الصرخات العنيفة ، التى انطلقت فى المكان ..

(رمزى) وحده انتبه إليها ، والتفت إلى الرجل بحركة حادة ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

إذن فهذا هو الدكتور (هاشم) ..

أخيرًا ..

وفى نفس اللحظة ، التى تحرّك فيها (رمزى) نحو الدكتور (هاشم) ، كان رجال الحراسة يديرون فوهات مسدساتهم الليزرية نحو (نور) ، الذى نزفت الدماء من جرحى ذراعه وفخذه ، فصاح بهم الرئيس بلهجة صارمة :

ـ توقّفوا .. ماذا تفعلون ؟! هذا الرجل أفضل مقاتل عرفته ، فى حياتى كلها .

نهض (نور) ، مغمغمًا :

ـ أشكرك يا سيادة الرئيس .

ومد يده يعاون الرئيس على النهوض ، والرئيس يسأله متوترًا :



وبيده اليسرى ، دفع (نور) رئيس الجمهورية بعيدًا ، ثم دار حول نفسه بحركة مبهرة ، والتقط القنينة بيده اليمنى ..

- ماذا يحدث هنا يا (نور) ؟

فتح (نـور) يده ، وحدَّق الرئيس فى القنينة الصغيرة ، و (نور) يقول :

- الدكتور (هاشم) اختارك هدفًا لضربته الجديدة يا سيادة الرئيس .

اتسعت عينا الرئيس فى ارتياع ، وهو يحدق فى القنينة ، هاتفًا :

- رباه !.. لقد أنقذت حياتى يا (نور) .

ثم صاح برجال الحراسة فى غضب :

- وأنتم حاولتم قتله أيها الحمقى ..

بدا عليهم الاضطراب والارتباك ، والحاضرون يتساءلون عما يعنيه هذا ، وعما حدث فى المكان ، وقلوبهم تخفق فى فزع متوتر ، فصاح الرئيس مرة أخرى برجاله :

- ماذا تنتظرون ؟! اسرعوا باستدعاء حوَّامة إسعاف المقدَّم (نور) ينزف فى غزارة .

هتف بهم (نور) :

- كلا .. انتظروا .. لا ينبغى السماح لأى مخلوق بمغادرة القاعة .. الدكتور (هاشم) هنا .

انطلقت صيحة (رمزى) من آخر المكان ، وهو يهتف :

- ها هو ذا يا (نور) .. لقد عثرت عليه .

التفت إليه الجميع ، ورأوه ينقضّ على رجل ما ، وينتزع ياقة قميصه بحركة سريعة ، مستطردًا :

- انتظروا .

واتسعت عيون الجميع فى دهشة بالغة ، عندما تبدّلت ملامح الرجل بغتة ، عندما انتزع (رمزى) ياقته ، وتحوّل إلى شخص معروف ..

شخص يعرفه (نور) و (رمزى) والرئيس على الأقل ..

الدكتور (هاشم صدقى) ..

وتشبّث (رمزى) بالرجل ، صارخًا :

- لقد ألقيت القبض عليه يا (نور) .

ولكن الدكتور (هاشم) تحرّك ، بكل الغضب فى أعماقه ، ولكم (رمزى) فى أنفه ، صائحًا :

- ألقيت القبض عليه ؟! أنت واهم يا هذا .

كانت اللكمة قوية مؤلمة ، إلا أن (رمزى) ظلّ متشبثًا بالدكتور (هاشم) ، فأخرج هذا الأخير من جيبه أداة صغيرة ، غرسها فى كتفه ، هاتفًا فى غضب هادر :

- ابتعد عنى .

انتفض جسد (رمزى) فى عنف شديد ، كمن تلقّى صدمة كهربية قوية ، وابتعد عن الدكتور (هاشم) بحركة قوية ، وهو يطلق صرخة ألم رهيبة ، قبل أن يسقط أرضًا ..

ووسط الهرج والمرج ، اللذين سادا المكان ، قفز (نور) من المنصة ، وانطلق نحو الدكتور (هاشم) ، فى حين هتف الرئيس ، وهو يشير إلى هذا الأخير :

- ألقوا القبض على هذا الرجل .

تحرّك رجال الرئيس كلهم فى حزم ، ولكن الدكتور (هاشم) انتزع من جيبه قنينة أخرى صغيرة ، رفعها عاليًا ، وهو يصرخ :

- إياك أن يقترب أحدكم منى .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، عندما وقع بصره على السائل المائل إلى الزرقة داخل القنينة ، وتجمّد فى مكانه ، هاتفًا :

- توقفوا .. لا تهاجموه .

توقّف الجميع فى توتر ، وعيونهم تحمل مع عيون الحاضرين ألف تساؤل وتساؤل ، فى حين راح الدكتور (هاشم) يلوّح بالقنينة فى غضب عارم ، ويصرخ :

ـ لن أسمح لكم بالاقتراب منى ، أو إلقاء القبض علىّ قط .. لو حاولتم مجرّد محاولة ، سألقى هذه القنينة وسط الحاضرين ، وأنتم تعلمون ما سيحدث عندئذ .

أشار إليه (نور) ، وهو يتقدّم نحوه فى حذر ، قائلاً :

ـ رويدك يا دكتور (هاشم) .. لن يقترب منك أحد .. اللعبة ما زالت متواصلة .. هذه ليست النهاية .. كل منا يمكنه أن يربح جولة .. أليس كذلك ؟!

انتفض جسد الرجل فى عنف ، من فرط الانفعال ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لن يربح كل منا جولة .. أنا وحدى الذى ينبغى أن يربح .. أنا الأكثر ذكاءً .. هل تفهم ؟ أنا الأكثر ذكاءً .

أشار إليه (نور) مرة أخرى ، محاولاً تهدئته ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا دكتور (هاشم) .. أنت الأكثر ذكاءً .. أنت الرابح دائمًا .

صرخ الدكتور (هاشم) ، وكأنما بلغ جنونه مبلغه :

ـ خطأ .. خطأ .. تدخلك منعنى من الانتصار فى هذه الجولة .. كيف عرفت المكان ؟! كيف وصلت بهذه السرعة ؟!

كان ينبغى أن تصل بعد فوات الأوان .. بعد أن يلقى الرئيس مصرعه ، وأغادر أنا المكان سالمًا .

ثم تلفّت حوله بعينين زائغتين ، هاتفًا :

ـ وهذا ما ينبغى أن يحدث .. افتحوا الأبواب .. لابد أن أغادر هذا المكان سالمًا ؛ لأستعد لجولة أخرى .. لابد .. افتحوا الأبواب .

تردّد رجال الأمن أمام قوله هذا ، وانعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، وسرت همهمة مذعورة بين الحاضرين ، ولكن (نور) ظلّ متماسكًا ، وهو يشير لرجال الأمن ، قائلاً :

ـ ألم تسمعوا ما قاله الرجل ؟! افتحوا الأبواب .

استدار إليه الدكتور (هاشم) فى حدة ، قائلاً :

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟! لماذا تطالبهم بطاعة أوامرى ؟!

أجابه (نور) فى سرعة ، محاولاً تهدئة ثورته وامتصاص غضبه ؛ حفاظًا على الحاضرين من الفيروس الرهيب وآثاره المدمّرة :

ـ لأنك الأكثر قوة يا دكتور (هاشم) .. كلنا مضطرون لطاعتك ؛ لأنك الأكثر قوة .

تألّقت عينا الدكتور (هاشم) ، وهو يهتف :

- بالتأكيد .. أنا الأكثر قوة .. أنا الأكثر قوة .

ولوّح بالقنينة ، مستطردًا :

- هيا .. افتحوا الأبواب .

أشار (نور) إلى رجال الأمن ، فأسرعوا يفتحون الأبواب أمام الدكتور (هاشم) ، الذى أطلق ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يهتف :

- أرأيت أيها المقدّم ؟! عندما تصبح قويًا ، تجبر الجميع على طاعتك .

استعاد (رمزى) سيطرته على أطرافه ، فى تلك اللحظة ، فغمغم :

- ماذا تفعل يا (نور) ؟! إنك تسمح له بالفرار .

أجابه (نور) فى صرامة :

- ليس لدينا بديل يا (رمزى) .. الرجل يمسك سلاحًا لا قبل لنا بمواجهته .

انعقد حاجبا (رمزى) فى توتر ، وكأنما لم يرق له هذا المنطق ، وقال فى حدة ، وهو يراقب الرجل ، الذى يتراجع نحو الأبواب المفتوحة فى حذر :

- فيروسك لم تعد له أية أهمية يا دكتور (هاشم) .. لقد توصّلوا إلى المصل المضاد له ، منذ ساعة واحدة .

انعقد حاجبا الدكتور (هاشم) وهو يحدّق فى وجهه ، قبل أن يعود للارتفاع ، وتطلّ من العينين نظرة ساخرة ، لم تلبث أن انتقلت إلى حلقه ، فى شكل ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

- لعبة خاسرة أيها الخبير النفسى .. أنا أكثر شخص فى العالم يفهم الفيروس (هشيم) .. لقد قضيت أكثر من عامين كاملين فى تخليقه وتطويره ، بأحدث سبل هندسة الوراثة ، وأدرك جيدًا أنه من المستحيل إيجاد مصل مضاد له ، أو حتى واق منه ، قبل ثلاثة أشهر من العمل الشاق على الأقل .

قال (رمزى) فى عصبية :

- هذا ما تتصوّره ، ولكن الواقع يختلف كثيرًا .. لقد استخدم خبراؤنا تقنية جديدة ، ونجحوا فى صنع المصل المضاد ، خلال ساعات معدودة .

صاح (هاشم) فى حدة :

- كذب .. كذب .. هذا مستحيل !.. لا يمكن صناعة المصل المضاد لـ (هشيم) بهذه السرعة .

ثم قفز إلى الخلف ، متجاوزًا الباب ، وهو يستطرد فى غضب :

- ولو أنك صادق ، دعهم يستخدمون مصلهم لإنقاذكم .

وعاد يرفع القنينة الصغيرة عاليًا ؛ ليلقيهـا نحـو (نور) و (رمزى) وطاقم الأمن ..

وبكل غضب الدنيا ..

★ ★ ★

« لا يوجد أى مصل مضاد لهذا الفيروس اللعين .. »

نطق الدكتور (سمير) العبارة فى توتر بالغ ، وهـو يفرك عينيه فى إرهاق ، ويحاول الاسترخاء على مقعد وثير فى ركن معمله ، فألقى الدكتور (مجدى) جسده على الأريكة المجاورة ، وهو يقول فى توتر مماثل :

ـ إننى لم أر فى حياتى كلها فيروسًا مثلـه .. لقد نجح فى اختراق الخلايا الكبدية ، علـى الرغـم مـن الحاجز الذى صنعه حولها عقارى .. إنه أكثر قوة من فيروس (سى) خمس مرات على الأقل .

هزّ الدكتور (سمير) رأسه ، وأسبل جفنيـه فـى تهالك ، متمتمًا :

ـ لست أدرى كيف صنع الدكتـور (هاشـم) هـذا الفيروس اللعين وكيف منحه ذلك الجدار المزدوج ، الذى يبدو أشبه بدرع من الصلب ، يمنع أية مـواد مضادة من بلوغه ، ولكـن من المؤكد أنه قد استخدم تقنية عـالية إلى حد مدهش .. هل تتخيّل أننى حاولت

زرع الفيروس فى صفار البيض أو فى وسـط عضـوى صناعى ، ولكنه بدلاً من أن ينشط داخلهـا ، كمـا يحدث مع كل الفيروسات ، انطلق يدمّرها كلها علـى نحـو عجيب ، على الرغم من أن تدميرها يفقده الوسط الذى يعيش فيه .. إننـى لم أشاهد تصرفًا كهذا فـى عـالم الميكروبات والكائنات الدقيقة قط .

تنهّد الدكتور (مجدى) ، قائلاً :

ـ الفيروسـات ليست كائنات ذكية مفكّرة يا دكتور (سمير) .. إنها مجرّد كائنات دقيقـة ، اعتـادت التطفـل على الخلايا (الحيّة) والتـأثير فيهـا مرضيًا ، تبعًا لطبيعتهـا ، أو للصفـات التـى تـم زرعهـا فيهـا ، أو تطويرها إليها ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجبـاه فـى شدة ، فسأله الدكتور (سمير) بصوت مجهد ، دون أن يفتح عينيه :

ـ أو ماذا ؟!

هبّ الدكتور (مجدى) واقفًا ، وهو يهتف :

ـ رباه !.. لماذا لم نفعل هذا ؟!

فتح الدكتور (سمير) عينيـه فـى دهشـة ، وهـو يسأله :

ـ ما هذا الذى لم نفعله ؟

أجابه الدكتور (مجدى) فى حماس :

- فحص المادة النووية للفيروس ، بحثًا عن مصدره .

حدّق الدكتور (سمير) فى وجهه بدهشة ، فتابع بنفس الحماس ، وهو يلوّح بذراعيه :

- لا أحد يمكنه صنع فيروس جديد ، فالفيروسات مخلوقات من مخلوقات الله (سبحانه وتعالى) ، وهو وحده الخالق المبدع .. كل ما يحدث هو أننا نأتى بفيروس ما ونعمل على تطويره ، وتوليد أجيال جديدة منه ، ثم نعود لتطوير تلك الأجيال الجديدة ، وهكذا ، حتّى يصبح لدينا فى النهاية فيروس جديد ، يختلف كثيرًا عن الفيروس الأوّل ، ولكنه يشترك معه حتمًا ، فى صفة أو صفتين ، ولو أننا فحصنا المادة النووية للفيروس الجديد ، فسنجد تشابهًا ولو ضئيلاً ، بينها وبين الفيروس الأصلى .

واصل الدكتور (سمير) التحديق فى وجهه بدهشة ، فسأله فى شىء من العصبية :

- ما الذى يدهشك إلى هذا الحد ؟!

هزّ الدكتور (سمير) رأسه ، قائلاً :

- الذى يدهشنى هو أنك أنت الذى توصّلت إلى هذه الفكرة ، على الرغم من أننى أنا خبير الفيروسات .

ابتسم الدكتور (مجدى) ، قال :

- لا تنس أنك أنت صاحب فكرة تقوية خلايا الكبد ، فى مواجهة الفيروسات ، على الرغم من أننى أنا خبير أمراض الكبد الوبائية .

نهض الدكتور (سمير) من مقعده ، ودبّ فى جسده نشاط مباغت ، على الرغم من أنه لم ينعم بقسط ، ولو ضئيل من الراحة ، منذ الصباح الباكر ، وقال فى حماس :

- هذا يجعلنا متعادلين .

ثم اندفع نحو المجهر الإليكترونى ، مستطردًا :

- والآن هيا ؛ فأمامنا عمل كثير نقوم به .

وانهمك الاثنان مرة أخرى فى العمل ، من منطلق جديد ، وبفكرة جديدة ..

فكرة ربما كان لها أبلغ الأثر فى هذا الموقف كله .. ربما !!..

★ ★ ★

كل ذرة فى كيان الدكتور (هاشم) ، كانت ترغب فى تدمير (نور) و (رمزى) ، وأكبر عدد من الحاضرين .

كل خلية من خلاياه ، كانت تحمل بغضًا وكراهية لا حد لهما ، وهو يرفع قنينة السائل المائل إلى

الزرقة ، بكل ما تحويه من فيروسات رهيبة ؛ ليلقى بها على الجميع ..

ولم يكن من الممكن أبدًا أن ينجو الجميع من هذه الضربة ..

صحيح أن (نور) تحرك فى سرعة ، ودفع (رمزى) جانبًا ، ولكن مجرد سقوط القنينة ، وارتطامها بالأرض ، كان يكفى لتتناثر منها ملايين الفيروسات ، وتنقل العدوى والدمار للعشرات ..

باختصار ، كانت الكارثة قادمة لا محالة ..

حتى انطلقت تلك الرصاصة ..

رصاصة أتت من مكان ما ، خارج قاعة الاجتماعات ، وأصابت القنينة الصغيرة مباشرة ، والدكتور (هاشم) يرفعها فوق رأسه ..

وانفجرت القنينة ..

انفجرت فوق رأس الرجل مباشرة ، وبين أصابعه ، التى أصابتها الرصاصة نفسها ، وتفجر السائل المائل إلى الزرقة بكل فيروساته ، على جسد الدكتور (هاشم) .

وبذعر الدنيا كلها ، أطلق الرجل صرخة هائلة ..

صرخة ارتجف لها جسده كله ، وهو يتراجع فى رعب بلا حدود ، حتى تعثر فى إحدى درجات السلم ، فسقط فوقه ، وتدحرج فى عنف ، حتى استقر أسفله ..

وشهق الجميع فى دهشة متوترة مذعورة ، فى حين التفت (نور) إلى مصدر الرصاصة ، وهو يهتف :

ـ (أكرم) ؟!

ومن بعيد ، رأى زميله شاحب الوجه ، يستند إلى واحدة من السيارات الرسمية ، وهو يمسك مسدسه ، الذى تتصاعد منه أدخنة الرصاصة ، التى أطلقها على القنينة ..

وفى حزم ، لوّح (أكرم) بمسدسه ، قائلاً :

ـ معذرة يا (نور) .. لم يكن بإمكانى طاعة أوامرك هذه المرة .

نهض الدكتور (هاشم) ، وهو يصرخ فى ثورة ورعب :

ـ لا .. لن ألقى مصرعى وحدى .. لن أموت دون أن احقق انتقامى .. لا ..

وانطلق يعدو عائدًا إلى القاعة ، و ....

وانطلقت رصاصة أخرى من مسدس (أكرم) واخترقت ركبة الدكتور (هاشم) اليمنى ..

وسقط الرجل ، وهو يطلق صرخة هائلة ، ولكنه

حاول النهوض مرة أخرى فى عناد ، إلا أن رصاصة ثالثة حطمت ساقه اليسرى ، فسقط أرضًا على وجهه ، وراح يصرخ فى غضب وثورة ..

وفى غضب ، هتف (نور) :

- كف عن هذا يا (أكرم) .. لو أردت أن تقتله فافعل ، وإلا فلا تعذبه على هذا النحو .. الله (سبحانه وتعالى) أمرنا إذا قتلنا أن نحسن القتل .

انعقد حاجبا (أكرم) فى صرامة ، وهو يقول :

- دعه يتعذَّب يا (نور) .. دعه يتذوّق ما أذاقه الآخرين ، دون رحمة أو شفقة ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى جحظت عينا الدكتور (هاشم) ، وأمسك بطنه فى ألم ، وهو يصرخ :

- لا .. لا .. ليس أنا .

وراح بطنه ينتفخ ، وهو يطلق صرخات ألم رهيبة ، وعيناه تكادان أن تخرجا من محجريهما ..

وباستثناء صرخاته الرهيبة ، لم ينبس أحد بحرف واحد ..

ومن بعيد ، ظهر رجال الحجر الصحى ، وسيارتهم تنطلق نحو المكان ، ولكن بطن الدكتور (هاشم) واصلت انتفاخها ، على هذا النحو المخيف ، واختنقت صرخاته فى حلقه ..

ثم انفجر كبده ..

تمامًا مثلما حدث لضحاياه ..

وعندما وصل رجال الحجر الصحى ، بدءوا فى تطهير المكان ، وعزل منطقة الخطر ، كانت دماؤه تحيط به فى دائرة واسعة ؛ لتعلن نهاية مرحلة رهيبة من الخطر ..

نهاية تحمل نفس البصمة ..

بصمة الموت .

* * *



١٠ - المفاجأة ..

أطلقت (سلوى) ضحكة مرحة ، وهى تربَّت على كتف زوجها ، ثم تطبع قبلة على خده ، قائلة :

- من الواضح أنك قد بهرت الجميع كالمعتاد يا زوجى العزيز ، فكل وكالات الأنباء تحدثت عن إنقاذك المبهر للرئيس ، وعن شجاعتك الفائقة ، وأنت تقفز من المنصة ، وتعدو نحو الدكتور (هاشم) ، على الرغم من إصابتى ذراعك وفخذك .. لقد كنت مدهشًا كالمعتاد .

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

- (نور) يبهر الآخرين دائمًا ، ولكن ماذا عنى أنا ؟! ألم يذكروا شيئًا عن شجاعتى فى تدمير ذلك المجنون ؟!

هزَّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

- تكفى قصائد الشعر ، التى قالتها عنك زوجتك ، فى أنباء الفيديو .

بدت الجدية على وجه (نشوى) ، وهى تقول :

- ولكن لماذا لم تبد ارتياحًا لما حدث يا أبى ؟ ألأنك تبغض القتل والتدمير ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- كلا يا (نشوى) .. ليس هذا سبب عدم ارتياحى .. السبب الحقيقى هو أن ما أصاب الدكتور (هاشم) ، حدث أمام عيون رجال الإعلام ، من كل أنحاء العالم ، وهذا يعنى أن كل دول العالم ستدرك وجود فيروس فائق لدينا ، ووزير الدفاع كان على حق فى هذه النقطة .. الكل يسعى لامتلاك سلاح بيولوجى فائق ، وربما يسعون للحصول عليه من هنا ، لو وجدوا وسيلة لهذا ، مما يعنى المزيد والمزيد من المشكلات ، فى المرحلة القادمة .

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يقول (رمزى) :

- أنت على حق يا (نور) .. مشاكل (هشيم) لم تنته بعد .

قال (أكرم) فى توتر :

- ولِمَ لا نقوم بتدمير الفيروس تمامًا ؟

تنهَّد (نور) ، قائلاً :

- أتعشَّم أن يقتنع المسئولون بهذا ، وألا يظهر بينهم من يؤمن بحتمية وجود سلاح بيولوجى متطوِّر ، و ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، ارتفع فجأة رنين هاتف الفيديو المجاور له ، فاستدار يضغط زره ، قائلاً :

- هنا منزل المقدّم (نور) ، أر ..

بتر عبارته مرة أخرى فى حدة ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يحدق فى الصورة التى ظهرت على الشاشة ، فاقترب الآخرون منه ، و (أكرم) يقول فى قلق :

- ما الذى يدهشك إلى هذا الحد يا (نور) ؟!

ولكن ما إن وقعت أبصارهم على الصورة المرتسمة على الشاشة ، حتى انتقل ذهول (نور) إليهم ، وشهقت (نشوى) ، قائلة :

- الدكتور (هاشم) ؟! مستحيل !!

اخترقت آذانهم ضحكة مجلجلة ، تحمل صوت الدكتور (هاشم) ولهجته الساخرة ، عبر هاتف الفيديو ، قبل أن يقول الرجل بسخرية لاذعة :

- مفاجأة .. أليس كذلك ؟!

ثم عاد يطلق ضحكاته الساخرة العالية ، والجميع يحدقون فى صورته فى ذهول .. ذهول يفوق كل الحدود .

★ ★ ★

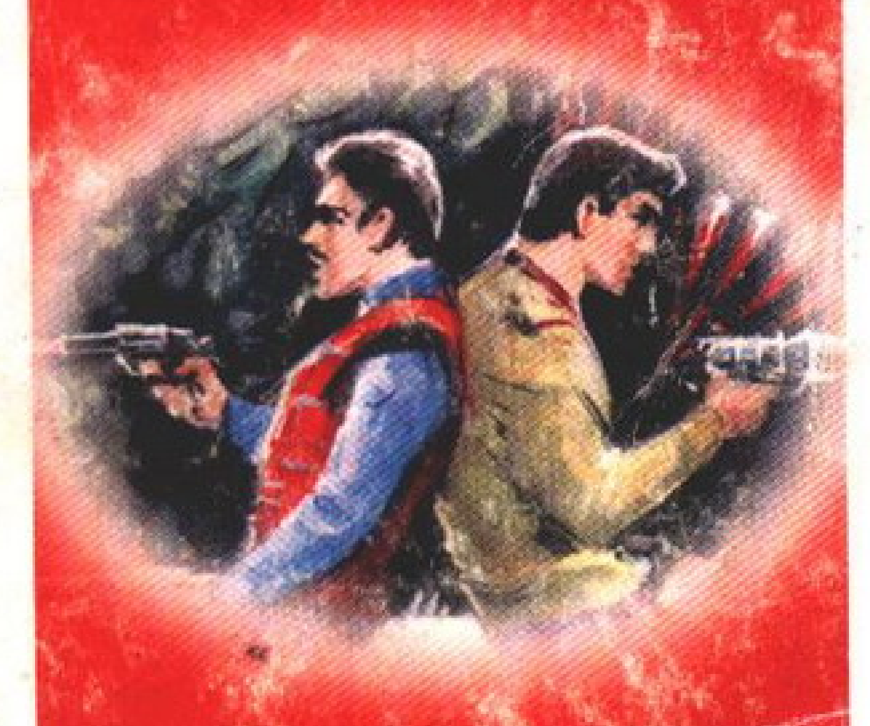
[انتهى الجزء الأول بحمد الله]

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(حرب الفيروسات)



- ما ذلك الفيروس الرهيب ، الذى يهدد العالم بوباء مخيف ، لاشفاء منه ؟!
- كيف نجح عالم الفيروسات فى إثارة كل هذا الفزع ، وماهدفه الحقيقى من هذا ؟!
- ترى هل ينجح (نور) وفريقه فى حماية البشر من هذا الخطر البيولوجى الرهيب ، أم ينضمون إلى قائمة الضحايا ، الذين يحملون (بصمة الموت) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الأرض .





د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

112

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : الحرب الفيروسية